الباب الخامس

طراز العصر السلجوقى

(فى القرنين الخامس – السابع الهجرى) (الحادى عشر – الثالث عشر الميلادى)

(ا) إيران (ب) تركيا (حـ) الأتابك

ينتمى السلاجقة الأتراك إلى قبائل التركمان الرحل التى هاجرت من برارى القرقيز فى آسيا الوسطى. ولقد بدأ اعتناق أتراك آسيا الوسطى للدين الإسلامى منذ القرن الثامن الميلادى ، إلا أن انتشار الدين الجديد بينهم بشكل جماعى لم يتم إلا فى القرن الحادى عشر ، وكان لذلك أثر كبير فى تاريخ الإسلام ، حيث تبوأ العنصر التركى منذ تلك الفترة مركزاً رئيسياً فى العالم الإسلامى .

ولما كان السلاجقة من أتباع المذهب السنى ، لذلك قاموا بالدعوة له فى امبراطوريتهم الواسعة التى استولوا عليها فى القرن الخامس الهجرى (منتصف القرن الحادى عشر الميلادى) . وشمل حكمهم إيران وتركيا والعراق .

الفصل الأول

السلاجقة الأتراك فى إيران

(٤٤٧ – ٥٥٣ هـ) (١٠٥٥ – ١١٥٧ م)

اتجهت إحدى هذه القبائل القوية التى عرفت باسم « السلاجقة » إلى الهضبة الإيرانية وتمكنت من الاستيلاء على أصفهان وهمذان والقوقاز ، ولقد قويت شوكتهم بعد أن استقروا فى إيران وتمكنوا من هزيمة الغزنويين الذين كان مركز حكمهم فى أفغانستان . ثم تقدموا بعد ذلك غرباً ففتحوا خراسان عام (٤٢٩ هـ – ١٠٣٧ م) ، وشجعهم ذلك على طرد البوهيين حكام إيران وبعض أجزاء من العراق . وبذلك تمت لهم فى النهاية السيادة على إيران فى منتصف القرن الحادى عشر الميلادى وزاد نفوذهم تدريجياً فى العالم الإسلامى . وانتهزوا فرصة ضعف الخلفاء العباسيين فى العصر العباسى الثانى فدخل زعيمهم « طغول بك » بغداد عام ١٠٥٥ م – ٤٤٧ هـ حيث نصبه الخليفة سلطاناً . ولقد حجب سلطان السلاجقة نفوذ الخلافة العباسية وأضعفها سياسياً ، ولكن لكونهم من أتباع المذهب السنى فقد أخذوا على أنفسهم حماية الخليفة العباسى وأبقوا له السلطة الروحية والدينية . وفى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى كان السلاطين السلاجقة يحكمون مع ولاتهم الأتابكة إمبراطورية واسعة متحدة شملت بلاد العالم الإسلامى كله ما عدا مصر ، حيث تمكنوا من الاستيلاء على جزء من آسيا الصغرى بعد اصطدامهم بالدولة البيزنطية عام ٤٦٤ هـ – ١٠٧١م فى عهد السلطان « ألب أرسلان » بن « طغرل بك » ، وشملت دولتهم إيران وأفغانستان وآسيا الصغرى والعراق والشام . ولكن هذه الدولة الكبيرة التى أسسها طغرل بك مالبثت أن تمزقت بعد موت السلطان السلجوقى « سنجر الثانى » (٥٢٦ – ٥٥٢ هـ) (١١١٨ – ١١٥٧م) آخر حكام السلاجقة فى إيران . كما كان ذلك آخر عهد إيران بحكم موحد ، حيث انقسمت بعد ذلك إلى دويلات صغيرة حكمها بعض أفراد أسرة السلاجقة . كما استقل كبار قوادهم الأتابكة بالبلاد التى كانوا ولاة عليها . وانتهى الأمر بالغزو المغولى لإيران فى القرن السابع الهجرى أى بداية الثالث عشر الميلادى .

العمارة :

بلغت النهضة الفنية فى إيران قمة ازدهارها فى عهد السلاجقة لاسيما فى عهد « ملك شاه » ووزيره « نظام الملك » ، ويرجع ذلك إلى تشجيع الحكام للفنون . ولم يكن للعنصر التركى الذى ينتمون إليه أى تأثير فنى فيما وجد من عمائر وتحف فنية فى ذلك العصر . وسبب ذلك استخدام السلاجقة لرجال الفن المحليين فى إيران والعراق وآسيا الصغرى . إلا أن الفضل يرجع إليهم فى إدخال تغيير على الطراز الذى كان موجوداً ، فصارت العمارة أضخم وأوسع مما كانت عليه فى العهود التى سبقتهم . واتخذ معظم الحكام السلاجقة أصفهان عاصمة لهم .

عمارة المساجد :

تطورت عمارة المساجد فى إيران فى عهد السلاجقة ، وبدأ ظهور هذا التغيير فى التصميم منذ عصر السلطان « أبى الفتح ملك شاه » (٤٦٥ — ٤٨٥ هـ) (١٠٧٢ — ١٠٩٢ م) ، حيث نرى فى المسجد السلجوقى إيواناً عالياً مقبباً يتوسط دعائم واجهة كل ضلع من أضلاع الصحن المكشوف ، كما ظهر بالواجهة طابقان . ويتميز إيوان القبلة بزيادة اتساعه عن بقية الإيوانات الثلاثة ، كما زاد ارتفاع المئذنة .

وأحسن نموذج لهذا الطراز من المساجد هو مسجد الجمعة بمدينة أصفهان ، الذى أقامه الوزير « نظام الملك » فى حوالى ٤٦٦ هـ — ١٠٧٣ م فى عهد السلطان « ملك شاه ». ويظهر من تصميم هذا الجامع (تصميم ى) الابتكار الجديد الذى ظهر فى العصر السلجوقى . حيث يتوسط ثلاثة من أضلاع صحن الجامع إيوانات عالية ضخمة ، أكبرها إيوان القبلة (ش ٩١) . كما يوجد خلف المدخل المواجه لإيوان رواق القبلة إيوان مستطيل تظهر بأعلى جدرانه صف من الحنايا على هيئة عقود مدببة فارسية الطراز . ولقد استخدمت هذه الحنايا فى تحويل المربع الموجود أسفل القبة التى شيدت بعد ذلك فى عام ٤٨١ هـ — ١٠٨٨ م إلى دائرة (ش ٩٢) ويزخرف هذه القبة شريط دائرى من الكتابة الكوفية بالآجر البارز باسم نظام الدين والسلطان ملك شاه .

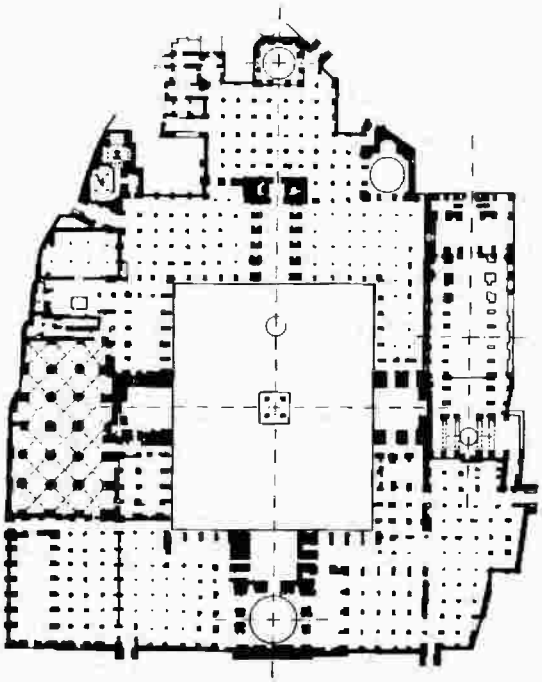

ى – تصميم مسجد الجمعة بأصفهان

انتشر نموذج هذا الجامع فى العصر السلجوقى وأصبح الطراز التقليدى لعمارة المساجد التى شيدت فى إيران بعد ذلك ، مثل مساجد الجمعة فى قزوين (٥٠٩ هـ – ١١١٥ م) وجلباياجان (٥١٤ – ٥٣٠ هـ) (١١٢٠ – ١١٣٥ م) وسفارية (٥٤٨ هـ – ١١٥٣ م) واردستان (٥٧٦ هـ – ١١٨٠ م) . ومن المحتمل أن يكون الجامع السلطانى الذى شيد فى بغداد فى عهد السلطان « ملك شاه » قد شيد على هذا الطراز . ولقد ظهر تأثير هذا النموذج السلجوقى فى مساجد العصر المغولى .

الأضرحة والمدارس :

يرجع الفضل إلى السلاجقة فى إدخال فكرة تشييد الأضرحة كأبنية مقدسة فى إيران . كما يرجع إليهم أيضاً الفضل فى تطوير المقابر البرجية التى عرفت من قبل فى إيران . وكانت هذه الأضرحة البرجية على شكلين مختلفين ، ضريح على شكل

برج له قبة مما يكسبه طابعاً دينياً ، وضريح برجي مغطى بسقف مخروطي . وكانت هذه الأبراج تشيد أحياناً على قاعدة مستديرة أو على قاعدة مضلعة (مربعة أو مثمنة أو ذات عشرة أضلاع) . وتتميز هذه الأضرحة بجدرانها المزخرفة بقوالب الطوب .

ومن أقدم أمثلة الأضرحة المتعددة الأضلاع ، ضريحان مقببان وجدا فى خزاقان على الطريق الذى يصل بين همذان وقزوين (ش ٩٣) ، يرجع تاريخهما إلى سنة ٤٦٠ هـ — ١٠٦٧ م وسنة ٤٨٦هـ — ١٠٩٣ م . ولقد استخدمت الأضرحة المقببة كمدافن لرجال الدين والحكام وذوى السلطان ، كما كان يلحق أحياناً بأضرحة الأولياء المربعة مساجد . وكان ضريح السلطان « سنجر » السلجوقى الذى شيد فى مرو فى عام ١١٥٧ م على هذا الطراز . ولقد انتشر فى غرب إيران بالذات نموذج الأبراج المتعددة الأضلاع ووجد منه أمثلة فى مدينتى الرى وفيرامين . ولقد ظهرت نماذج لهذه الأبراج المتعددة الأضلاع قبل ذلك ، مثال برج الملك مسعود الثالث (ش ٥٧).

أما الأبراج ذات السقف المخروطي فقد انتشرت فى إيران بصفة عامة. وكانت جدرانها فى أول الأمر أسطوانية ملساء ووجد لذلك أمثلة فى ضريح بيرى المادار Piri Almadar بدمغان ، ثم ظهر بسطحها أحياناً أخاديد رأسية عميقة ، ومثال ذلك ضريح مغطى بسقف مخروطي وجد فى رد كان قرب طهران (ش ٩٤) ويعتقد بعض العلماء أن هذا الشكل قد يكون مستمداً من شكل خيام قبائل المغول الذين كانوا يسكنون بلاد ما وراء النهر [١] (ش هـ) .

ويرجع الفضل إلى السلاجقة أيضاً فى إدخال فكرة المدارس الدينية فى إيران ، وكانت وظيفتها نشر تعاليم المذهب السنى بين أهل إيران الشيعيين ، ومن أمثلة ذلك مدرسة حيضرية بقزوين . وكان يلحق عادة بالمدرسة مسجد ذو قبة يشيد على ضلع من أضلاع صحن المدرسة . ويمتاز تصميم المدارس عن الجوامع بما أضيف إليها من حجرات فى طابقين لسكن الطلبة والأساتذه . ومن أكبر مشجعى هذه المدارس الدينية « نظام الملك » حيث شيد مدارس فى نيشابور وطوس كما شيد مدرسة فى بغداد فى عام ٤٥٩هـ — ١٠٦٦ م ، ولكن للأسف لم يتبق من هذه المدارس أى شىء .

---

(١) رايس ، د ، ب Great Britain & Hudson "Islamic Art" . Rice. D.T, ص ٦٢

(شكل ٩١)
الإيوان الكبير بجامع أصفهان ،
أقيم عام ٤٨١ هـ — ١٠٨٠ م ،
العصر السلجوق بإيران .

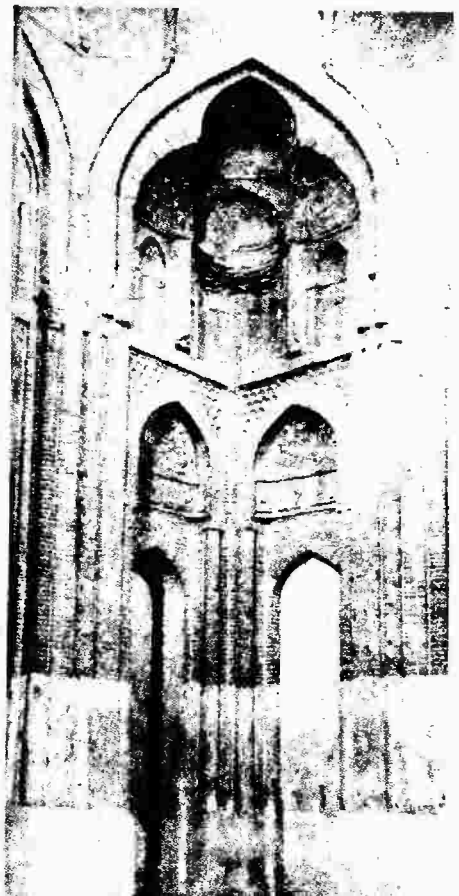

(شكل ٩٢)
ركن فى جامع أصفهان يوضح تحويل
المربع إلى دائرة ، العصر السلجوق
إيران .

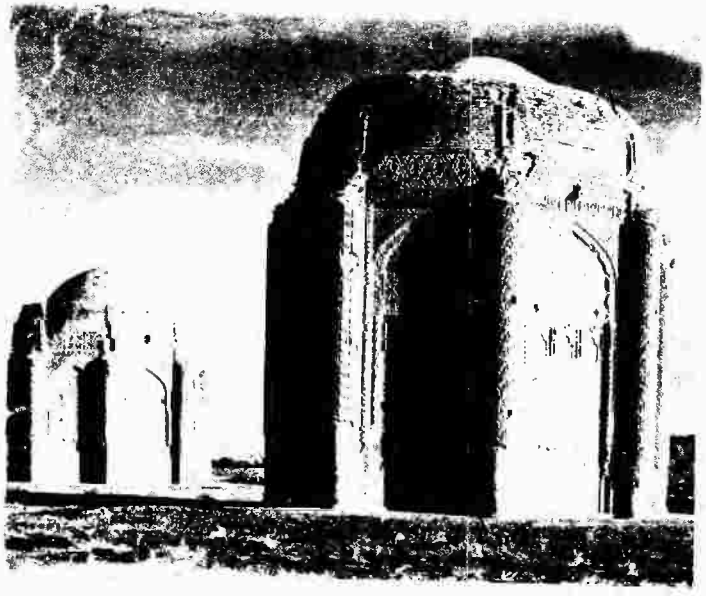

(شكل ٩٣)
ضريحان شيدا على التوالى عام ٤٦٠هـ،
٤٨٦ هـ — ١٠٦٧ ، ٩٣ - م
فى العصر السلجوق فى إيران .

ويصل بروز الزخارف الآدمية أحياناً إلى درجة كبيرة تكاد تأخذ شكل النحت الكامل بالرغم من أنها متصلة بالجدار . ومن أحسن الأمثلة على ذلك نحت لرأس أمير سلجوقى (ش ٩٦)، ويتضح من الطريقة التى نفذت بها تجاعيد شعره ميل الفنان إلى الأسلوب الزخرفى ، كما نلاحظ أنه يعتنى بإظهار التفاصيل الدقيقة مثل الحلى التى تزين غطاء الرأس . ونلاحظ فى وجه هذا الأمير ملامح العنصر التركى السلجوقى .

ومن أبدع ما توصل إليه الإيرانيون فى زخرفة جدران عمائرهم فى العصر السلجوقى هو كسوتها بالطوب والبلاطات الخزفية ، ويظهر ذلك فى بداية القرن السادس الهجرى (١٢ م). ومن أقدم الأمثلة على ذلك ما وجد فى جامع قزوين ومشهد الإمام رضا بمدينة مشهد. إلا أن هذه الصناعة ما لبثت أن تطورت وازدهرت فى نهاية هذا القرن، ونجد أمثلة لذلك فى ضريح مؤمنة خاتون . ولقد اشتهرت مدينتا الرى وقاشان بصناعة البلاط الخزفى ، ولقد تميزت منتجات قاشان بمزيد من الجودة والدقة ، وكانت تصدرها فى نهاية القرن السادس الهجرى (١٢ م) إلى سائر أنحاء إيران والشرق الأوسط ، ولم يكن استخدام البلاط الخزفى فى تغطية الجدران ابتكاراً سلجوقياً ، حيث وجدت منه أمثلة قبل ذلك فى العصر العباسى الأول فى مدينتى سمراء والقيروان . إلا أن التغشية فى العصر السلجوقى تميزت بالمزج بين تأثير زخارف البلاطة مع الزخارف المعمارية .

الفنون الصغيرة :

المعادن :

ازدهرت صناعة المعادن فى إيران فى عهد السلاجقة، وكان أهم مراكزها إقليم خراسان وهراه . وكان الأسلوب السائد فى زخرفة التحف المعدنية فى أول الأمر هو النقش على سطحها ، ولكن ما لبث أن ظهر أسلوب جديد على يد الصناع فى إيران والعراق ينحصر فى ملء الزخرفة المحفورة على سطح الإناء بشرائط من الفضة أو النحاس الأحمر أو بكليهما . وتعرف هذه العملية بالتطبيق أو التكفيت . ولم يظهر إنتاج لهذا الأسلوب الزخرفى قبل منتصف القرن السادس الهجرى (١٢ م) . ولقد نشأت مراكز التكفيت أولا فى خراسان بشرق إيران ثم انتقلت الصناعة منها إلى

باق إيران والموصل بشمالى العراق .

ومن القطع المعدنية التى تمثل الإنتاج الأول للعصر السلجوقى ، طبق من الفضة مزخرف بوحدات منقوشة على السطح ذات عناصر كتابية وحيوانية مجنحة ونباتية (ش ٩٧) ، ويبدو فى هذه الزخارف تأثر الفنان بالعناصر الزخرفية التى ظهرت فى إنتاج العصر ما بعد الساسانى . وتدل النقوش الكتابية على أن الإناء صنع للسلطان السلجوقى « ألب أرسلان » فى عام ٤٥٩ هـ — ١٠٦٦ م .

ومن التحف الجميلة التى ينسبها البعض[١] إلى القرن الثانى عشر الميلادى ، دورق عطر من الفضة مغطى بطبقة ذهبية ، وبسطحه نقوش بارزة لعناصر زخرفية حيوانية ونباتية وكتابية (ش ٩٨) .

ولقد جمع الفنان السلجوقى أحياناً بين طريقة الزخارف المنقوشة على السطح وبين الزخارف المفرغة فى تحفة واحدة مما كان له تأثير زخرفى جميل . مثال ذلك مبخرة على هيئة أسد (ش ٩٩) مزخرفة بنقوش لوحدات نباتية . وتذكرنا هذه المبخرة بالأوانى المعدنية التى صنعها الفاطميون على شكل الحيوان أو الطير .

ولقد عثر على مجموعات من الأوانى المعدنية المزخرفة بطريقة التكفيت فى عدة مراكز منتشرة فى أواسط آسيا وفى القوقاز ، وتشتمل هذه القطع على سلاطين ودوارق وزهريات وقدور وأهوان . وتزخرف هذه القطع أشرطة بها رسوم حيوانات وأشخاص ، ونلاحظ أحياناً فى الأشرطة جامات بها منظر صيد أو طرب أو فروسية ، كما قد يظهر بها كتابات بالأحرف العربية . ويتضح من بعض هذه الزخارف أن الفنان ما زال متأثراً بوحدات عصر ما بعد الساسانى . ومن أقدم هذه القطع قدر من البرونز فى متحف الأرميتاج (ش ١٠٠) مزخرف بنقوش محفورة ومكفتة بالنحاس الأحمر والفضة ، وتدل الكتابة الموجودة عليه أنه من صناعة « محمد بن الواحد » بمدينة هراة ، وكفته « مسعود بن أحمد » النقاش عام ٥٥٩ هـ — ١١٦٣ م ، لأحد كبار التجار وتظهر الزخارف المكفتة فى خمسة أشرطة أفقية ، اثنان منها مزخرفان برسوم آدمية

---

(١) D. Stewart. L'Aube de L'Islam· Collections Time-Life 1972.

أخالف الكاتب فى التاريخ ، وأعتقد أن هذا الدورق يرجع إلى تاريخ سابق ، حيث يلاحظ تشابه كبير بين زخارفه وزخارف الإبريق الذى صنع للأمير البويهى فى أواخر (القرن العاشر الميلادى) . (ش ٤٦)

(شكل ٩٦)
رأس تمثال من الجص لأمير سلجوق
القرن ٦ أو ٧ هـ – ١٢ أو ١٣ م ،
إيران ، متحف المتروبوليتان
بنيويورك .

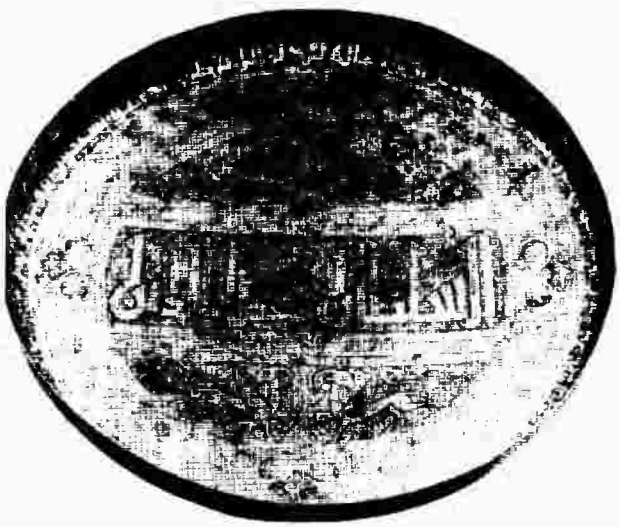

(شكل ٩٧)
طبق من الفضة به زخارف منقوشة ،
صنعه حسن القاشاني السلطان السلجوق
« ألب أرسلان » ، عام ٤٠٩ هـ ،
١٠٦٦ م ، متحف بوسطن بأمريكا

(شكل ٩٨)
دورق لماء الورد مصنوع من الفضة
المذهبة ، القرن ٦ هـ – ١٢ م العصر
السلجوق ، إيران ، متحف فرير ،
واشنطن ، أمريكا .

(شكل ٩٩)
منحوتة من البرونز على هيئة حيوان من صناعة خراسان القـــرن ٦ هـ – ١٢ م ، العصر السلجوقي ايران ، حاليا بمتحف اللوفر باريس .

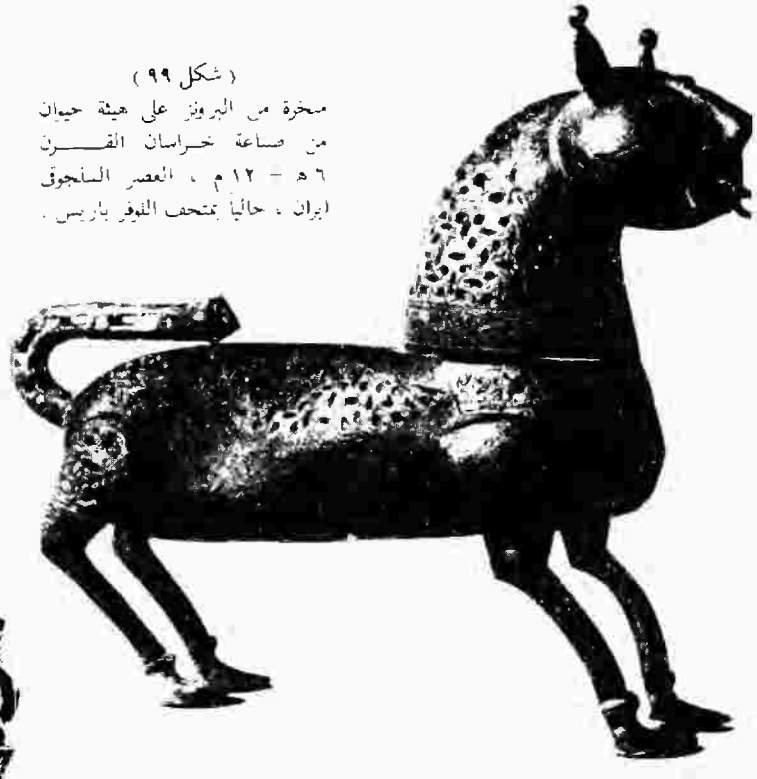

(شكل ١٠٠)
قدر من البرونز المكفت بالفضة والذهب من صناعة هراة ، ٥٥٩ هـ – ١١٦٣ م العصر السلجوقي إيران متحف الإرميتاج روسيا .

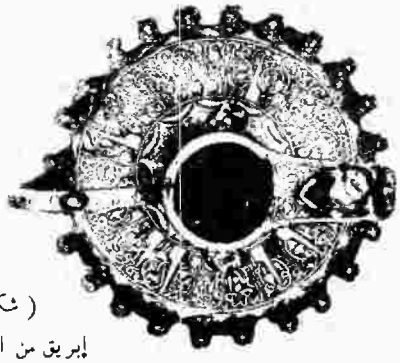

(شكل ١٠١ ، ١٠١ أ)
إبريق من البرونز المكفت بالفضة ، من صناعة خراسان بإيران ، أوائل القرن ٧ هـ – ١٣ م ، ويظهر في (أ) انتهاء الحروف بوجوه آدمية بمتحف المتروبوليتان ، (صورة مهداه من المتحف) .

لفرسان وصيادين وأشخاص فى مجالس طرب بها راقصات وموسيقيون وبهلوانات . أما الأشرطة الثلاثة الباقية فقوام زخارفها كتابات نسخية وكوفية ، وتنتهى بعض قوائم الحروف بأشكال رؤوس آدمية أو حيوانية وهذا ابتكار ينسب إلى السلاجقة . ولقد ظهر هذا الأسلوب الزخرفى على أوانى الموصل أيضاً . ويمكن نسبة ابتكار هذا النوع من الكتابة إلى خراسان فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ، ومنها انتشر إلى إيران . ولقد ساعد هذا القدر المؤرخ على التعرف على تاريخ صناعة بعض الأوانى التى تتشابه فى أسلوبها الزخرفى مع أسلوب إناء هراة .

ومن صناعة خراسان أيضاً بعض الأوانى المتعددة الأضلاع المزخرفة برسوم مكفتة ومحفورة ومجسمة لطيور أو حيوانات . ويمثل تلك المجموعة أصدق تمثيل إبريق من البرونز ذو رقبة طويلة بمتحف المتروبوليتان (ش ١٠١) ، ويتكون بدنه من اثنى عشر ضلعاً مزين سطحها بزخارف متشابكة تنتهى من أعلى برءوس حيوانات مختلفة . وتضم هذه الزخارف جامات بها رسوم فلكية . كما تظهر فى زخارف رقبته الأسلوب الذى أدخله السلاجقة على الزخارف الكتابية وهو انتهاء حروف الكتابة النسخية بأشكال رءوس آدمية (ش ١٠١أ) . ويمكن إرجاع هذا الإناء إلى أوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) . ويلاحظ أن التكفيت بالفضة قد ازداد عنه فى القرن الثانى عشر الميلادى

الخزف :

علمنا مما سبق أن صناعة الخزف ازدهرت فى العالم الإسلامى منذ عهوده الأولى. وكانت المراكز الهامة فى العصر العباسى الأول هى بغداد بالعراق وسمرقند بخراسان . كما اشتهرت الفسطاط فى عصر الفاطميين بصناعة الخزف الجيد . إلا أن هذه الصناعة وصلت إلى مرتبة خاصة فى إيران فى العصر السلجوقى ، حيث توصل الخزافون فى القرنين السادس والسابع الهجرى (١٢ و ١٣ م) إلى الوصول بإنتاجهم إلى مرحلة متقدمة تعد غاية فى الإتقان ، سواء أكان ذلك فى أساليب الصناعة كالبريق المعدنى ذى اللون الواحد أو المتعدد الألوان ، أم فى طريقة زخرفة الأوانى بوحدات محفورة أو بارزة ومجسمة ، كما توصلوا إلى أسلوب الزخارف المفرغة . وتميزت الأشكال الزخرفية المرسومة بمجموعات منسجمة من الألوان استخدمت فى تنسيق جميل ، وكان للخزف

السلجوقى مراكز متعددة فى إيران أشهرها مدينتا الرى وقاشان .

حاول الخزافون فى أوائل العصر السلجوقى تقليد الخزف الصينى الأبيض وذلك بإضافة مادة الكوارتز إلى المادة المصنوعة منها الخزف . ولدينا من تلك الفترة أوان خزفية عثر عليها فى جهات متفرقة ، إلا أن أحسن ما عثر عليه كان بمدينة الرى. وتتكون هذه المجموعة من سلاطين وكؤوس وصحون وأباريق سمنية اللون تتميز بشفافية خاصة تشبه الخزف الصينى . وتزين هذه المجموعة زخارف تتكون من فروع نباتية أو أوراق شجر محورة عن الطبيعة محفورة أو بارزة بروزاً خفيفاً تحت الدهان . ومن هذا النوع إبريق مزين بزخارف من التفريعات النباتية المحفورة (ش ١٠٢) .

ومن أجمل أنواع الخزف ذى الزخارف المحفورة ، مجموعة من الأطباق ترجع إلى القرن الخامس الهجرى (١١ م) ، ولكنها تتميز عن المجموعة الأولى بتعدد ألوانها وسيادة العنصر التصويرى فيها . وكانت الألوان المستخدمة هى الأزرق الزهرى والفيروزى والأخضر والأصفر والأرجوانى الفاتح . ويعرف هذا الخزف باسم لقبى (Lakabi) ومعناها الملون ، وكان استخدامه مقصوراً على الطبقة الحاكمة ، وينسب صناعته إلى مدينة الرى وربما كان مقصوراً على هذا المركز . وتتكون الزخارف غالباً من حيوانات طبيعية وخرافية أو طيور كما تظهر بها أحياناً موضوعات آدمية (ش ١٠٣) . وتظهر فى هذا الطبق الألوان الأزرق والأخضر والأرجوانى على الأرضية الفاتحة .

تقدمت صناعة الأوانى المزخرفة بالطرق السابقة خلال القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) وتميزت زخارفها بإتقان أكثر . وكانت الزخارف غالباً مجسمة وليست محفورة . ويدخل ضمن إنتاج هذه الفترة مجموعة من الأباريق والأوانى التى تشبه الأزيار مغطاة بطلاء أزرق فيروزى زهرى ومزينة بوحدات زخرفية بارزة منسقة فى إطارات أفقية . ومن أجمل هذه القطع إناء بمتحف واشنطن (ش ١٠٤) ترجع صناعته إلى بداية القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، وتتكون زخارفه من عناصر حية مرسومة على أرضية نباتية . كما غطى سطح الإناء بطبقة ذهبية .

ومن الأساليب التى أتقنها الخزافون السلاجقة فى أواخر القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ، زخرفة الأوانى برسوم تحت الطلاء . وينسب إلى ذلك النوع مجموعة من الخزف رسمت زخارفها باللون الأسود تحت طلاء شفاف لا لون له أو مائل

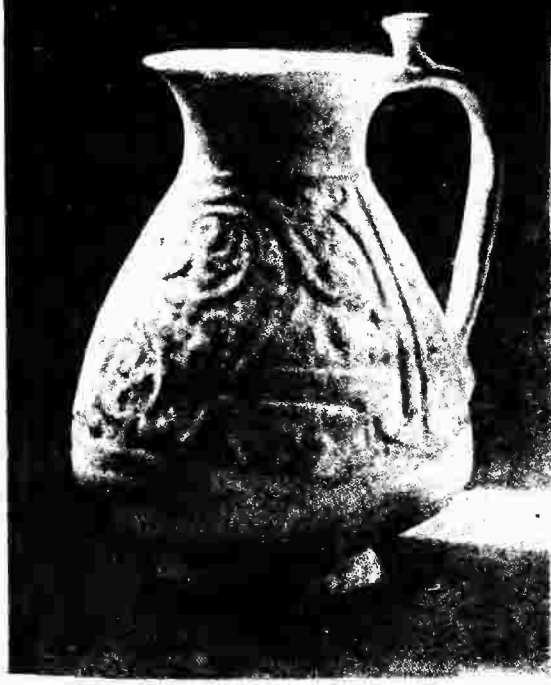

(شكل ١٠٢)

إبريق من الخزف المغطى بطلاء أبيض مع لمسات باللون الأزرق ، مدينة الرى ، القرن ٤ أو ٥ هـ – ١٠ أو ١١ م العصر السلجوقى إيران ، متحف اللوفر بفرنسا .

(شكل ١٠٣)

طبق خزفى محفور وملون عرف باسم « لقبى » ، قرن ٦ هـ – ١٢ م العصر السلجوقى ، إيران ، متحف فيكتوريا الأهلى ، ملبورن ، أستراليا .

(شكل ١٠٤)

زهرية من الخزف مزينة بزخارف بارزة ، بداية القرن ٧ هـ العصر السلجوقى ، إيران ، متحف فريير بواشنطن ، أمريكا .

(شكل ١٠٥)

سلطانية من الخزف من مدينة الرى ، مزخرفة باللون الأسود ، القرن ٦ هـ – ١٢ م ، العصر السلجوقى إيران ، متحف فيكتوريا وألبرت بلندن .

(شكل ١٠٦ ، ١٠٦ أ)
سلطانية من الخزف من قاشان ، مزخرفة بطريقة الظلال ، (السيلويت) القرن ٦ هـ – ١٢ م ، العصر السلجوقي إيران ، متحف أشموليان ، أكسفورد

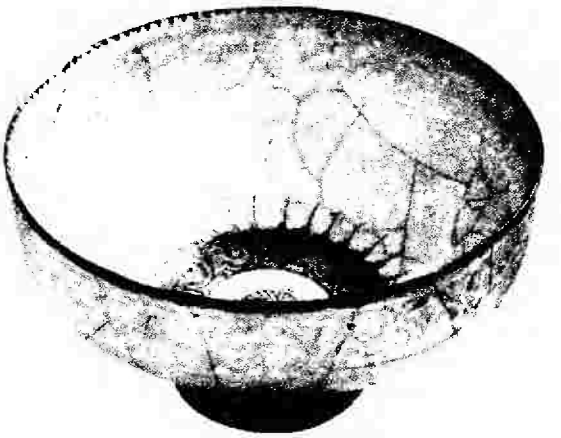

(شكل ١٠٧)
سلطانية من الخزف من صنع قاشان ، بها زخارف سوداء وزخارف مخرمة ، القرن ٦ هـ – ١٢ م العصر السلجوقي بإيران . متحف المترو بوليتان

إلى الزرقة . ومثال ذلك طبق بمتحف ڤيكتوريا والبرت نسب إلى الرى به زخارف باللون الأسود تتألف من وحدة حيوانية (ش ١٠٥) .

ومن أنواع الخزف المرسومة زخارفه تحت الطلاء مجموعة رسمت زخارفها على طبقة سوداء مغطاة بطلاء أزرق ، وتتألف هذه الزخارف من حيوانات برؤوس آدمية أو طبيعية (ش١٠٦) أو طيور أو عقبان. أو نباتية على سطح الإناء الخارجى (ش١٠٦ ا)

وقد جمع الخزافون فى بعض الحالات بين أسلوب الزخارف المرسومة تحت الطلاء وبين أسلوب الزخارف المثقوبة فى إناء واحد . ويتضح ذلك فى سلطانية عثر عليها فى قاشان يزين قاعدتها من الداخل زخارف رسمت باللون الأسود تحت الطلاء الشفاف (ش ١٠٧) على حين يدور حول حافتها شريط به رسوم نباتية مفرغة ومغطاة بدهان شفاف يسد هذه الفراغات . وتبدو هذه الفراغات كطبقة زجاجية شفافة ينفذ منها الضوء .

ومن أجمل الأمثلة التى أنتجتها المصانع السلجوقية وتظهر بها مهارة الفنان فى الجمع بين مختلف الأساليب الزخرفية فى عمل فنى واحد ، من مفرغة أو منقوشة تحت الدهان أو المجسمة البارزة . إبريق أزرق اللون ينسب إلى قاشان موجود حالياً بمتحف المتروبوليتان به زخارف بارزة ومفرغة لوحدات حيوانية وطيور خرافية فوق أرضية من الزخارف النباتية . ويظهر من شريط الكتابة الموجودة بالإناء أنه صنع عام ٦١٢ هـ — ١٢١٥ — ١٢١٦ م . ولقد انتشر هذا الأسلوب فى المراكز الإيرانية ويتضح ذلك فى إناء عثر عليه فى إقليم جورجان موجود حالياً فى متحف بوسطن [لوحة ملونة رقم ١ ا] وتظهر فى هذا الإناء وحدات آدمية داخل إطارات فوق أرضية من الزخارف النباتية ، ولقد لونت الأوراق النباتية باللون الفيروزى ، أما الوحدات الآدمية وإطاراتها فباللون الأزرق .

ازدهرت فى إيران طريقة زخرفة الأوانى الخزفية بالبريق المعدنى فى العصر السلجوقى . وكان هذا الأسلوب معروفاً فى العراق ومصر فى القرن الثالث الهجرى التاسع الميلادى . وربما يرجع الفضل لانتعاش هذه الصناعة فى إيران إلى الخزافين المصريين الذين هاجروا من مصر والتحقوا بخدمة السلاجقة بعد سقوط الدولة الفاطمية عام ٥٦٧ هـ — ١١٧١ م واضمحلال الفنون بها . حيث يرجع تاريخ أقدم قطعة

(شكل ١٠٨)

طبق من الخزف ذو البريق المعدنى من مدينة الرى ، القرن ٦ هـ — ١٢ م العصر السلجوقى بإيران ، متحف فريرا، واشنطن . تفضلا من المتحف

(شكل ١١٠)

محراب من القاشانى ذو البريق المعدنى والزخارف البارزة ، من جامع الميدان فى قاشان العصر السلجوقى ، إيران ، مؤرخ ٦٢٣ هـ — ١٢٢٦ م ، صنع الحسن بن عربشاه ، حالياً بمتحف الدولة ببرلين .

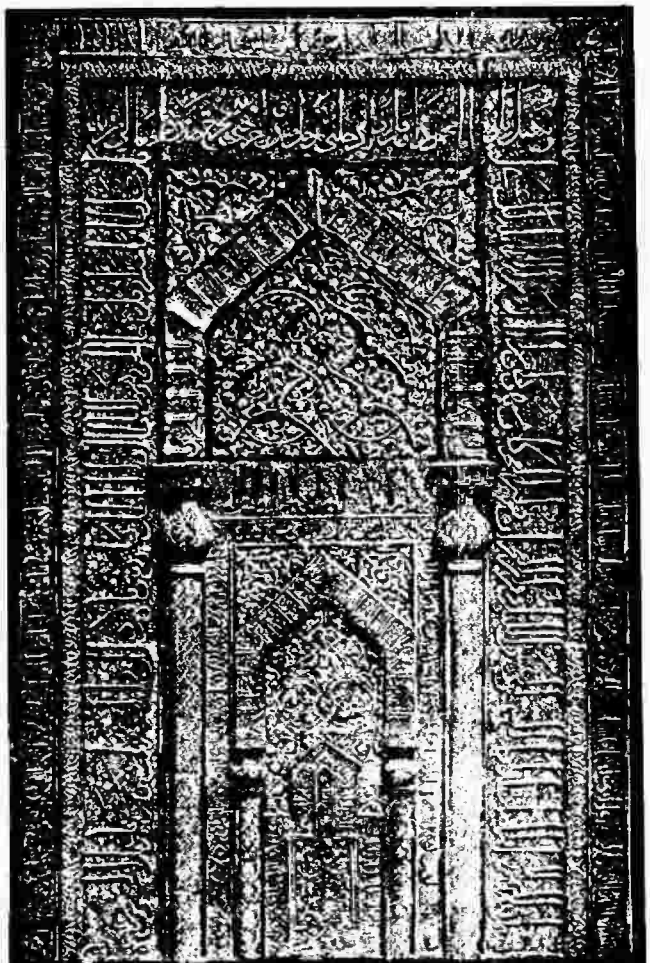

(شكل ١٠٩)

بلاطة خزفية ملونة ومذهبة ، بهرام جور يصطاد وبصاحبته جاريته أزادا ، ٥٧ هـ — ١٣ م ، قاشان العصر السلجوقى بإيران ، حالياً بالمتحف الإسلامى بالقاهرة .

(شكل ١١١)
طبق خزفى من قاشان العصر السلجوقى
إيران ، مؤرخ ٦٠٧ هـ - ١٢١٠
صنع سيد شمس الدين الحسنى ، حالياً
بمتحف فرير بواشنطن ، أمريكا

(شكل ١١٢)
طبق خزفى ذو زخارف متعددة الألوان
عرف باسم « مينائى » ، من صناعة
الرى العصر السلجوقى بإيران ، يصور
أمير بين حاشيته ، القرن ٧ هـ - ١٣ م
حالياً بمتحف فرير بواشنطن . تفضلا
من المتحف .

(شكل ١١٣)
إناء خزفى ذى زخارف متعددة الألوان ،
المعروف باسم « مينائى » صناعة
الرى العصر السلجوقى بإيران ، تصور
موضوع من مخطوط الشاهنامه ، القرن
٧ هـ - ١٣ م ، حالياً بمتحف فرير
بواشنطن . تفضلا من المتحف .

مؤرخة بإيران من هذا النوع من الخزف إلى عام ٥٧٥ هـ — ١١٧٩ م . وتظهر مدى مابلغته صناعة هذا النوع من الخزف من الإزدهار فى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) فى إيران ، فى مجموعة الأوانى الخزفية الفاخرة التى عثر عليها فى مراكز إنتاج الخزف فى إيران . وقد كان لمدينة الرى المكانة الأولى فى إنتاج الخزف ذى البريق المعدنى إلى أن خربها المغول عام ٦١٧ هـ — ١٢٢٠ م . ويمتاز خزف الرى ذو البريق المعدنى بوضوح رسومه المتقنة التكوين التى تتشابه كثيراً مع الوحدات الفاطمية .

ويظهر تطور واضح فى طريقة الزخرفة بالبريق المعدنى فى المنتجات الخزفية . فبدلا من رسم الزخارف بالبريق المعدنى دون سائر الأرضية الذى كان معروفاً فى العصر السابق ، أصبحت الأرضية هى التى تغطى بالبريق المعدنى ، فى حين تبقى الزخارف المرسومة بيضاء . وقد استخدم الخزافون فى الرى الزخارف الهندسية والنباتية والحيوانية . كما نلاحظ من الموضوعات التى أتقنها فنانو الرى ، مناظر مجالس الطرب والصيد والفروسية . ويتجلى ذلك فى طبق من القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) بمتحف فريرقوام زخرفته أمير فوق جواده (ش ١٠٨) . ونلاحظ فى هذا الطبق أن العناصر الحية تشغل سطح الأرضية كما تبدو واضحة فوق خلفية من زخارف الأرابيسك ، وهذا أسلوب فاطمى . وتزين ملابس الفارس زخارف هندسية ونقط على حين تظهر على جسم الجواد زخارف لأشكال دوائر ، كما تبدو فى وجه الأمير سمات الأتراك التى لا تمت بصلة إلى الإيرانيين . ولقد استخدمت فى أوانى ذلك العصر أشرطة الكتابة الكوفية فى زخرفة حافة الإناء .

ولقد أتقن الخزافون فى الرى أيضاً صناعة البلاطات الخزفية ذات البريق المعدنى . إلا أن منتجاتهم من ذلك النوع لم تصل إلى حد الإتقان الذى ظهر فى الأوانى الخزفية ذات البريق المعدنى .

اشتهرت مدينة قاشان فى العصر السلجوقى بكونها المركز الثانى لصناعة الخزف ذى البريق المعدنى ، وترجع شهرتها بصفة خاصة إلى صناعة البلاطات ذات البريق المعدنى التى عرفت بالقاشانى . ولقد شاع استخدام هذه البلاطات فى كسوة الجدران والمحاريب ، وكانت تصنع بأحجام وأشكال مختلفة ، وكانت فى أول الأمر ملساء ، ولكن الخزافين توصلوا فى أوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) إلى

رسم زخارف بارزة قليلا عن السطح . وتعددت موضوعات الزخرفة فى تلك البلاطات فتظهر بها موضوعات من الأساطير الفارسية مثل قصة بهرام جور وهو يمارس الصيد مع جاريته أزادا (ش ١٠٩) أو زخارف نباتية وتجريدية . كما شاع أيضاً استخدام الكتابة بحروف كبيرة على البلاطات المستخدمة فى تغطية المحاريب . ولقد ذاعت شهرة الخزافين فى مدينة قاشان ووجدت أسماؤهم على المحاريب التى قاموا بصناعتها ، ومن أحسن الأمثلة على ذلك محراب جامع الميدان بقاشان (ش ١١٠) ، الذى تشير الكتابة الموجودة عليه بأنه من صناعة الحسن بن عربشاه عام ٦٢٣ هـ — ١٢٢٦ م .

لم يقتصر نشاط الخزافين فى قاشان على صناعة البلاطات الخزفية ذات البريق المعدنى بل كانت لهم شهرة أيضاً فى صناعة الأوانى الخزفية ذات البريق المعدنى . ويتميز خزف قاشان بأسلوب خاص فى زخارفه ، حيث يهتم الفنان بكل العناصر الزخرفية المرسومة لتكون فى مجموعها وحدة زخرفية واحدة . فيغطى أولا الأرضية التى رسمت عليها العناصر الرئيسية سواء كانت آدمية أو حيوانية أو نباتية بطبقة من البريق المعدنى ، ثم ينقش بها بعد ذلك زخارف دقيقة الأشكال حلزونية أو خطوط منحنية أو نقط ، مما يقلل من شدة تأثير البريق المعدنى البنى الداكن . ويكرر هذه الزخارف بالبريق المعدنى على سطح الوحدات الآدمية والحيوانية والنباتية بطريقة مزدحمة يصعب معها التمييز بين الأرضية والوحدات المرسومة عليها . وتبقى فقط وجوه الأشخاص المرسومة وأيديهم وأرجلهم بدون تلوين ، فتبدو كمساحات صغيرة بيضاء موزعة بين الزخارف المرسومة . ومن أحسن الأمثلة على ذلك صحن موجود حالياً بمتحف فرير بواشنطن ، قوام الزخرفة فيه فتى جالس يحلم بفتاة تستحم فى مجرى ماء ، وبجانبه حصان الحاكم ومن خلفه حاشيته (ش ١١١) . وبخلاف الخزف الذى صنع قبل ذلك نجد أن كثيراً من أوانى قاشان مؤرخة وممضاة ، وتدل الكتابة الموجودة على حافة هذا الإناء أنه من صنع سيد شمس الدين الحسنى عام ٦٠٧ هـ — ١٢١٠ م .

ولقد ارتقت صناعة الخزف ذى البريق المعدنى فى قاشان ، ووصلت إلى قمة ازدهارها فى العصر المغولى ، حيث حافظ المغول على كثير من الأساليب السلجوقية التى كانت متبعة فى هذه المدينة خصوصاً بعد أن دمرت الرى .

على أن نوعاً جديداً من الخزف ظهر فى إيران فى العصر السلجوقى يتميز بتعدد

(شكل ١١٤)
تمثال من الخزف الملون على هيئة طائر
برأس آدمى ، القرن ٧ هـ — ١٣ م ،
مدينة الرى العصر السلجوق ، إيران ،
متحف المتروبوليتان ، نيويورك .

(شكل ١١٥)
قطعة نسيج حريرية مزخرفة بطيور
وأسود مجنحة ، القرن ٥ أو ٦ هـ —
١١ أو ١٢ م ، العصر السلجوق
إيران ، متحف فيكتوريا وألبرت ،
لندن .

(شكل ١١٦)
صفحة من صحف مكتوبة بالخط
الكوفى ، القرن ٦ هـ — ١٢ م ،
العصر السلجوق إيران ، متحف
الدولة ببرلين .

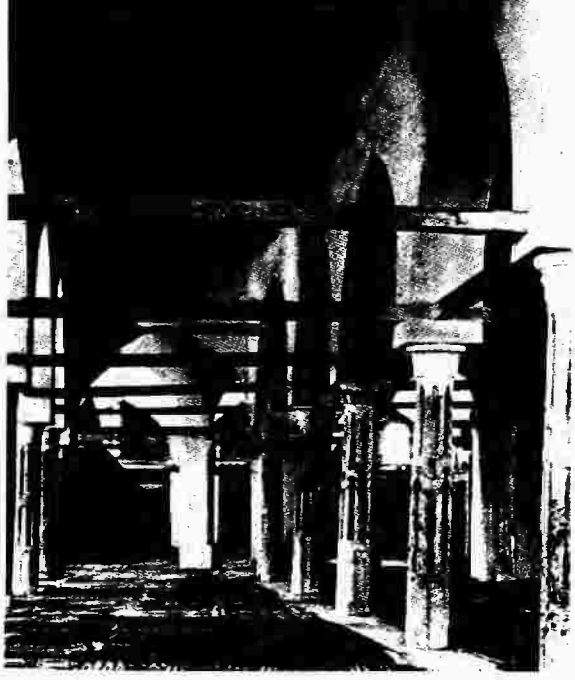

(شكل ١١٧)
مسجد علاء الدين قيقباد من الداخل ،
أوائل القرن ٧ هـ - ١٣ م ، قونيا ،
العصر السلجوقى بتركيا .

(شكل ١١٨)
مدرسة بنت علاء الدين قيقباد الثانى ،
٦٥١ هـ - ١٢٥٣ م ، أرزرم
العصر السلجوقى بتركيا .

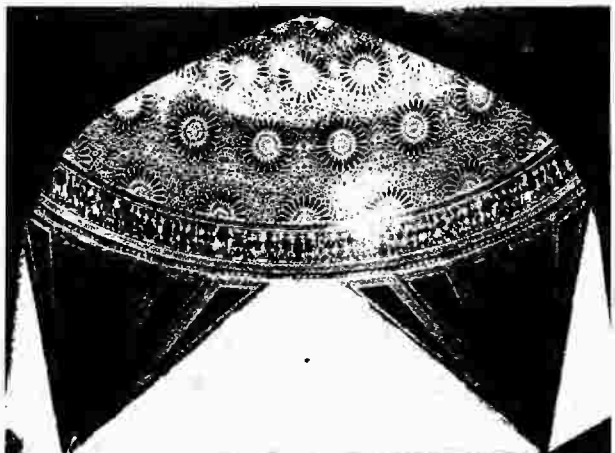

(شكل ١١٩)
قبة مدرسة قره طاى من الداخل ،
٦٤٩ هـ - ١٢٥١ م ، قونيا ، العصر
السلجوقى بتركيا .

ألوانه ووضوح العنصر التصويرى فيه . ويصنع هذا النوع من الخزف من عجينة ملونة تغطى بطلاء قصديرى يرسم فوقها الزخارف بالألوان المختلفة . وقد تتعدد الألوان الزاهية فى القطعة الواحدة ، ويبلغ عددها أحياناً سبعة من بينها الأزرق والأسود والأحمر والأخضر والبنى ، وكان يضاف إليها فى بعض الأحيان اللون الذهبى . ويعرف هذا النوع من الخزف ذى الزخارف المتعددة الألوان فرق الدهان باسم خزف « مينائى » .

ويعد هذا النوع من الخزف من أفخر أنواع الخزف الإسلامى ويشتمل على أكواب وأباريق وصحون غير عميقة وسلطانيات وقنينات . ويحتمل أن يكون صنع خصيصاً للحكام وكبار رجال الدولة . وكان هذا النوع من الخزف ينسب دائماً إلى مدينة الرى ، حتى عثر على بعض قطع جميلة منه فى قاشان مزخرفة بموضوعات مشابهة.

وتعكس زخارف هذا النوع من الخزف سواء فى الموضوعات أو فى الأسلوب ما كانت عليه مدرسة فن تصوير المخطوطات السلجوقية المفقودة ، حيث تنحصر الموضوعات فى رسوم أمراء بين رجال القصر (ش ١١٢) أو أميرات مع حاشياتهن ، كما تظهر به أيضاً مناظر الصيد والقتال والفروسية [لوحة ملونة رقم ١ ب] وموضوعات الطرب .

وتظهر أحياناً على هذه الأوانى موضوعات منقولة من الأساطير الفارسية مثل قصة بهرام جور البطل الساسانى مع جاريته أزاداه أو صور من الشاهناماه (ش ١١٣) أو قصة خسرو وشرين . ويلاحظ فى وجوه الأشخاص المرسومة على الخزف المينائى السحنة التركية مما يؤكد تأثر الفنان الإيرانى بشبه العنصر التركى الذى هاجر إلى إيران .

وينسب إلى إيران فى العهد السلجوقى عدد من التماثيل الخزفية على هيئة أشكال آدمية أو طيور أو حيوانات مزخرفة بالبريق المعدنى ، ومن هذا النوع تمثال خزفى جميل على هيئة طائر برأس آدمى عثر عليه فى مدينة الرى (ش ١١٤) ، يشهد بمهارة الفنان الإيرانى فى صناعة هذه التماثيل .

المنسوجات :

تميزت صناعة المنسوجات فى إيران فى العصر السلجوقى بنهضة كبيرة ، وكانت

هذه الصناعة متقدمة فى إيران منذ عصر البويهيين ، إلا أنه يلاحظ ظهور أسلوب جديد فى زخارف العصر السلجوقى . حيث أقبل الإيرانيون على استخدام العناصر النباتية التى ظهرت فى أنسجة العصر الإسلامى فى العراق ، وزخرفوا بها أجود أنواع المنسوجات الحريرية والديباج ، بالإضافة إلى العناصر الساسانية القديمة . وينسب إلى ذلك العصر قطعة من الحرير تتكون عناصر زخرفها من الوحدات التى عرفها إيران قبل الإسلام ، مثل شجرة الحياة التى تقف حولها وحدات من الطيور والأسود المجنحة (ش ١١٥). وتظهر هذه الزخارف داخل مناطق شبه مستديرة ، ويمكن إرجاع هذه القطعة إلى القرن الخامس أو السادس الهجرى (الحادى عشر أو الثانى عشر الميلادى) .

التصوير :

على الرغم من تأكدنا من وجود فئة من المصورين فى إيران فى العصر السلجوقى ، قامت بتصوير موضوعات المخطوطات والكتب ودواوين الشعر ، التى وجدت نماذج منها مرسومة بكثرة على الخزف السلجوقى ، إلا أن هذه المخطوطات تعد مفقودة حتى الآن ، فيما عدا مخطوطاً واحداً مصوراً اكتشف منذ عشر سنوات فى مخازن متحف توبكابى سراى بإستنبول . ولقد أمكن نسبته إلى أوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) ، لتطابق موضوعات رسومه الآدمية والحيوانية مع الزخارف الموجودة على الأوانى الخزفية الميناوية سواء فى الأسلوب أو فى العناصر المرسومة . وهذا المخطوط عبارة عن ديوان شعر عاطفى كتب بالإيرانية يحكى قصة **شخص** اسمه « فارجة » وحبيبته « جولاش » .

ويحتوى هذا المخطوط على واحد وسبعين صورة ، ويمكن اعتباره حلقة الاتصال بين الأساليب الفنية فى المدرسة السلجوقية والمدرسة المغولية التى خلفتها فى إيران . ويلاحظ فى هذا المخطوط ازدحام الصدر برسوم الأشخاص فوق الأرضية المزخرفة بتفريعات نباتية [لوحة ملونة رقم ١ حـ] . كما يلاحظ أيضاً أن الأشخاص قد رسمت حول رؤوسهم هالات من النور ، كما أن ملابسهم وأحياناً **جيادهم** تتميز بألوان زاهية . وقد نقلت هذه الأساليب من سوريا المسيحية وبلاد الجزيرة .

الخط والتذهيب :

أخذ الإيرانيون عن العرب طريقة زخرفة كتبهم بالعناصر الخطية والزخارف المذهبة . وتطور الخط الكوفى تطوراً كبيراً فى المصاحف السلجوقية كما زاد التذهيب ، ويظهر ذلك فى صفحة من مصحف مؤرخ من القرن السادس الهجرى أو الثانى عشر الميلادى (شكل ١١٦) . وتظهر به الآيات مكتوبة بخط كوفى يتميز بأسلوب خاص فوق أرضيات من المراوح النخيلية المرسومة بالمداد البنى .

ويلاحظ مما سبق أن لفترة حكم السلاجقة الأتراك فى إيران أثراً على الثقافة العربية الإسلامية ، كما كان له أثر واضح على طراز العمائر الإيرانية التى ظهرت فى عهدهم والتى تميزت بالفخامة والاتساع ، كما بدأ ظهور الجامع ذى الإيوانات . ويلاحظ فى العمائر السلجوقية ما للمداخل من الضخامة والأهمية . كما تقدمت عمارة القباب والأقبية . كذلك أدخل السلاجقة فكرة تشييد المدارس على نمط الجامع أيضاً . ولقد اقتبس السلاجقة أساليب معمارية من الأضرحة ذات الأبراج التى كانت موجودة فى أواسط آسيا .

على أن أعظم تجديد ظهر فى العمائر السلجوقية فى إيران هو تغطية الجدران بالبلاطات الخزفية الملونة . كذلك تميز الفن السلجوقى فى إيران بكثرة استخدام الموضوعات الحية فى الزخارف الجصية البارزة ، وكانت هذه الوحدات معروفة فى أواسط آسيا . ولقد انتشر هذا الأسلوب فى أنحاء إمبراطوريتهم التى امتدت من أواسط آسيا حتى مضيق البسفور وشملت العراق وبلاد الشام . ولقد استمر هذا الأسلوب السلجوقى يظهر فى البلاد الإسلامية الشرقية والغربية لمدة طويلة بعد سقوط الدولة السلجوقية فى إيران .

الفصل الثانى

العصر السلجوقى فى تركيا

(٤٧١ – ٧٠٨ هـ) (١٠٧٨ – ١٣٠٨ م)

بعد أن تمكن السلاجقة من فرض سلطانهم على إيران والعراق والشام ، اتجهوا غرباً تحت قيادة السلطان « ألب أرسلان » إلى آسيا الصغرى واصطدموا هناك بالدولة البيزنطية التى كانت تحكم آسيا الصغرى ، ونجحوا فى الاستيلاء على بعض المدن التركية ، كما تمكنوا بعد ذلك من صد البيزنطيين وهزيمتهم فى موقعة مازنكريت عام ١٠٧١ م – ٤٦٤ هـ . وبذلك نجح فرع منهم فى تكوين حكم محلى مستقل فى المدن التركية التى تمكنوا من انتزاعها من الدولة البيزنطية . وكان مؤسس هذا الحكم « سليمان بن كوتلومش » ٤٧١ – ٤٧٩ هـ (١٠٧٨ – ١٠٨٦ م). واستمرت سلطة السلاجقة على جزء كبير من آسيا الصغرى لمدة قرنين من الزمان ازدهرت فيها الفنون .

أصبحت قونية عاصمة الجزء الأوسط من بلاد الأناضول فى عهد السلطان « مسعود الأول » (٥١٠ – ٥٥١ هـ) (١١١٦ – ١١٥٦ م) ، وازدهر الفن السلجوقى فى هذه البلاد فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) فى عهد كاى خسرو ٦٠١ هـ – ١٢٠٤ م وخلفاؤه « عز الدين كيكاوس » ٦٠٧هـ – ١٢١٠ م « وعلاء الدين قيقباد » ٦١٦ هـ – ١٢١٩م . ووصل هذا الازدهار إلى قمته فى منتصف هذا القرن فى الفترة التى تمكن فيها جنكيزخان المغولى من السيطرة على سلاجقة إيران .

ولقد حاول الأتراك السلاجقة حكام بلادُ الأناضول مقاومة الغزو المغولى لبلادهم ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك ، حيث تمكن المغول من هزيمة السلطان « كاى خسرو » الثانى فى سنة ٦٤٠ هـ – ١٢٤٢ م ، واستمر السلاجقة يحكمون البلاد التركية بصفة ولاة للحكام المغول الذى كان مركز حكمهم فى إيران. ولقد أدت هذه الأحداث إلى ضعف الحكم السلجوقى فى بلاد الأناضول . وما لبثت هذه الدولة السلجوقية أن

زالت فى أوائل القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) بسبب تنازع الأمراء على الحكم .

العمارة :

بالرغم من ارتباط الفن السلجوقى فى تركيا بفن السلاجقة فى إيران إلا أننا نلاحظ فيه تغيراً واضحاً ، حيث ظهرت به أساليب فنية محلّية خاصة بتركيا كانت موجودة فى العمارة البيزنطية والأرمنية . ولقد ساعدت مواد البناء الحجرية التى كانت مستخدمة فى تركيا على بقاء الكثير من العمائر السلجوقية ، فى حين كانت المواد المستخدمة فى إيران غير متينة فاندثرت أغلب العمائر السلجوقية فيها .

ولقد اهتم السلطان « علاء الدين » (٦١٦ — ٦٣٤ هـ) (١٢١٩ — ١٢٣٦ م) بمدينة قونية العاصمة بصفة خاصة . وشيد فى عهده كثيراً من المساجد والقصور ، كما حصن المدينة بسور مدعّم بأبراج للحراسة . ولقد قام عدد من السلاطين السلاجقة بعد ذلك بتدعيم هذا السور وإن كان لم يبق منه الآن إلا بعض الأطلال .

عمارة المساجد :

يتضح من المساجد التى عثر عليها من تلك الفترة أن السلاجقة فى تركيا لم يقبلوا على طراز المسجد ذى الإيوان والصحن المكشوف المعروف فى إيران ، حيث نلاحظ أن أغلب هذه المساجد كانت بدون صحن . ويعتمد تصميمها على بهو للصلاة مغطى متعدد الأروقة تظهر به عدة دعائم منتظمة . وقد يعلو رواق القبلة أكثر من قبة ، ويظهر ذلك فى مسجد علاء الدين بمدينة « نجدة »[1] المشيد عام (٦٢٠هـ — ١٢٢٣ م) حيث يوجد به ثلاث قباب فوق الممرات الثلاثة الموجودة فى رواق القبلة . كما قد يكتفى فى بعض الحالات بقبة واحدة فى نهاية الممر الأعرض الأوسط . ومثال ذلك « أولو جامع » أى (الجامع الكبير) الذى شيد فى مدينة ديفرجى Divirigi عام (٦٢٨ هـ — ١٢٢٩ م) . وتظهر هذه القبة من الخارج على شكل خيمة مدببة .

---

(١) ا . جروبه — ماقبله ص ٧٧ — فن الاسلام Art of Islam ماقبله ص ١٠٥ .

(لوحة رقم ١)

(ا) إبريق من الخزف ذى الدهان الأزرق وسطحه الخارجى مفرغ .

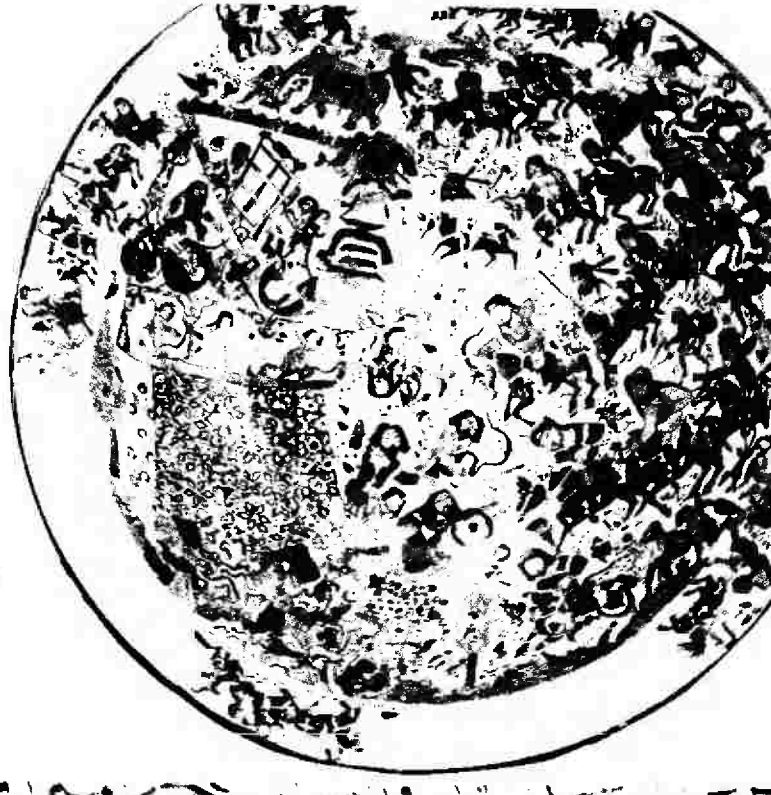

(ب) سلطانية من الخزف « الميناثى » ذى الزخارف المتعددة الألوان ، من صناعة إيران فى أوائل القرن ٧ هـ — ١٣ م ، تصور معركة . حالياً متحف فرير بواشنطن .

(حـ) صورة من مخطوط « وار
وجولاش » وتظهر وارکاه تر
جولاش الذى اقتيد أسيراً . المخط
الوحيدة من العصر السلجوق ، أو
القرن ٧ هـ — ١٣ م. حالياً متح
توبكابى إسطنبول .

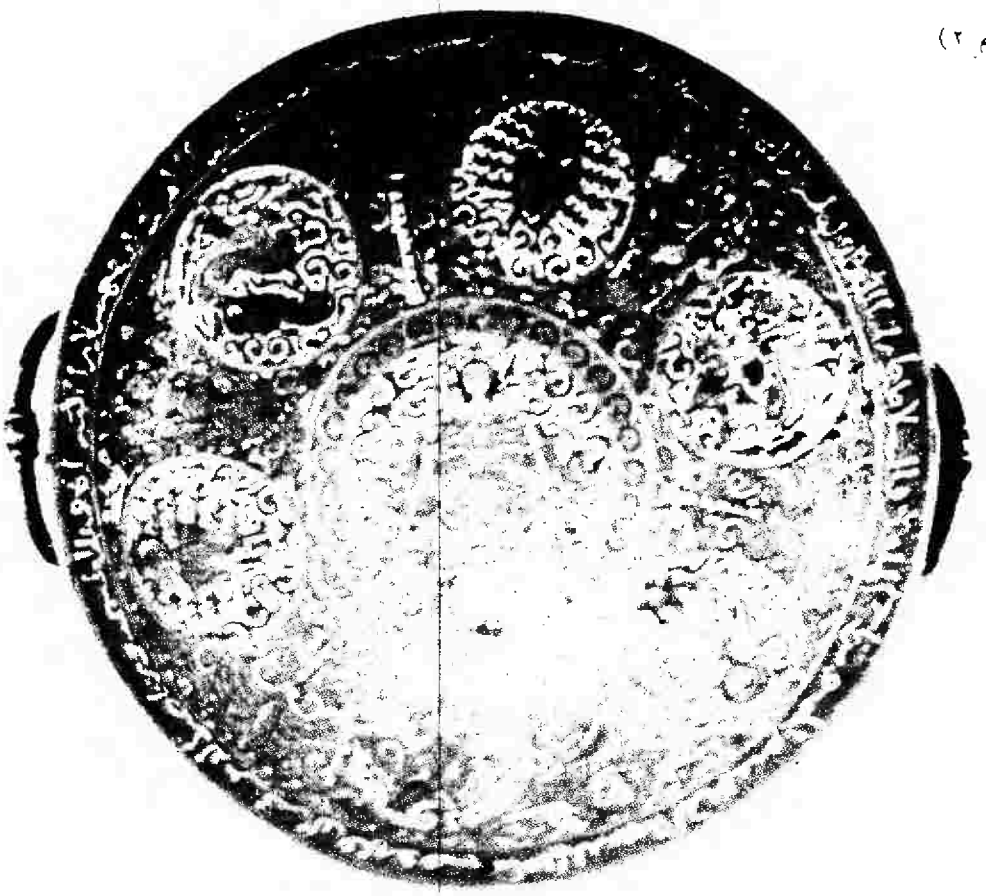

صينية من البرونز المفطى بالمينا يتوسطها نقش لشخص جالس ، وحول الحافة توجد كتابة نسخية باسم الأمير الأرتقى سليمان بن داود. وربما صنعت لأتابكة السلاجقة فى الموصل . حالياً متحف فردينناند بمدينة إنزبرك . النمسا

بلاط خزفى ملون مشكل على هيئة نجوم وصلبان عثر عليه فى قصر قباد آباد ، القرن ٧ هـ — ١٣ م — العصر السلجوق فى تركيا . حالياً متحف مدرسة قره طاى ، قونيا

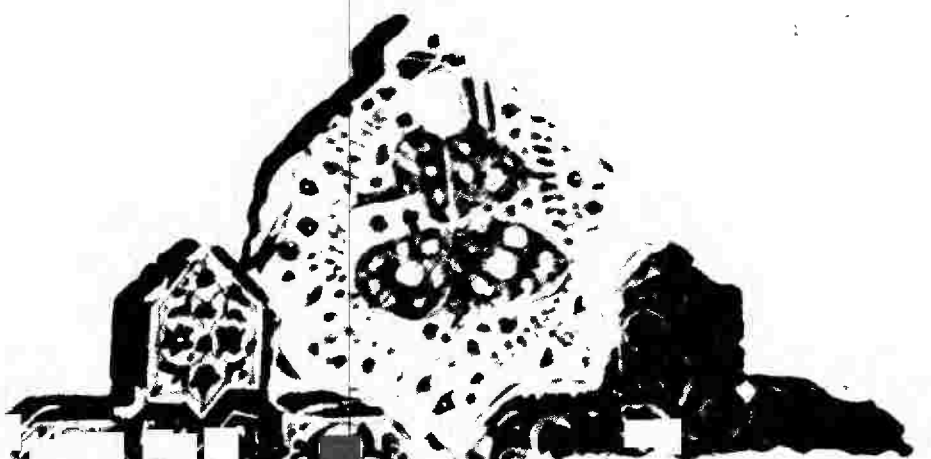

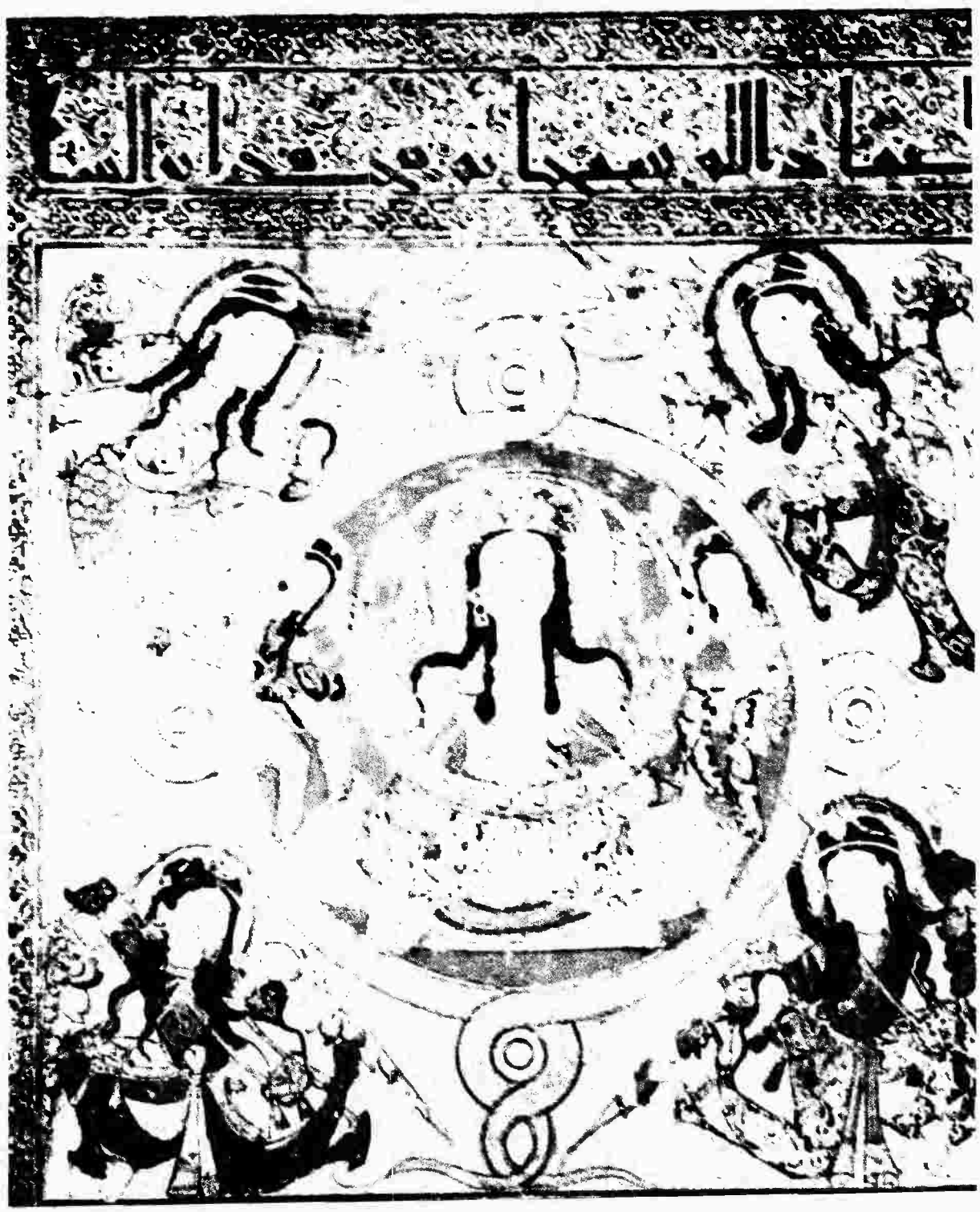

(لوحة رقم ٣)

الصفحة الأولى من مخطوط كتاب الترياق الموصل العراق ٥٩٥ هـ - ١١٩٩ م
يتضح فيه الأسلوب السلجوقي الذى ظهر فى العراق . حالياً المكتبة الأهلية، باريس .

صورة من مخطوط منافع الحيوان كتبها أبو سعيد عبيد الله بن بختيشوع ؛
مراغه إيران فى حوالى ٦٩٤ هـ — ١٢٩٤ م
تصور آدم وحواء . حالياً مكتبة بيير بونتمرجان نيويورك

ولم تكن هذه القاعة المقببة منفصلة عن بقية أجزاء الجامع كما كان متبعاً فى الجامع السلجوقى فى إيران ، بل كانت جزءاً من التصميم العام . ولقد تطور عن هذا الطراز العمائر الدينية المقببة التى ظهرت فى تركيا فى عهد العثمانيين فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) .

ومن أحسن أمثلة الجوامع السلجوقية فى تركيا جامع « علاء الدين » الذى شيده السلطان « ركن الدين مسعود » فى قونية عام ٥١٠ هـ — ١١١٦ م (شكل ١١٧) . وقد أدخلت عليه تعديلات كثيرة فى بعض العهود المتتالية ، ويأخذ إيوان الصلاة الصغير الموجود فى الجهة الغربية شكل حجرة صغيرة تعلوها قبة . وتتصل بهذه الحجرة بلاطات موازية لجدار القبلة ، ولا تنفتح هذه الحجرة على إيوان متصل بالصحن ، لذا لا تتصل أروقة العبادة بصحن الجامع الذى أضيف فى عهود متأخرة . ولا يمكن دخول رواق القبلة من هذا الصحن ، وبذلك لا يقوم الصحن الموجود فى الجامع بوظيفته التى وجدت فى الجوامع العربية أو السلجوقية فى إيران . ويبدو الصحن فى هذا المسجد كفناء متسع أمام المسجد المقفول ، ويتكرر هذا النظام فى الجزء الشرقى من المسجد . ويلحق بهذا الفناء ضريحان أحدهما ضريح « علاء الدين » .

المدارس والأضرحة :

اهتم السلاجقة فى تركيا بتشييد المدارس وكان معظمها يرتبط فيها بناء المدرسة بقبر بانيها . وكان هناك نموذجان لهذه المدارس ، الأول المدرسة ذات الصحن المكشوف والتى يظهر بها إيوان يسبقه رواق ، وهو الطراز المعروف فى إيران والعراق والعالم العربى الإسلامى . والثانى المدرسة التى تحتوى على قاعة مغلقة يعلوها قبة وبها حوض ماء بدلا من الصحن المكشوف ذى النافورة . ولقد اقتصر هذا النموذج الأخير على العمارة السلجوقية فى تركيا وشاع استعماله فى أنحاء آسيا الصغرى فى القرن السابع الهجرى — الثالث عشر الميلادى .

ويتضح النموذج الأول من المدرسة التى شيدها علاء الدين قيقباد الثانى فى مدينة « إرزرم » فى عام ١٢٥٣ م (ش ١١٨) ويلحق بالمدرسة قبر ابنته « خواند هاتون » .

ومن أحسن أمثلة الطراز الثانى مدرسة قرة طاى التى شيدت عام (٦٤٩ هـ — ١٢٥١ م)، ولقد شيد هذه المدرسة الوزير سلال الدين قرطاى ،وكان ذلك فى عهد السلطان « أبى الفتح كيكاوس الثانى » . ويتوسط المبنى المقام على مساحة مربعة قاعة متسعة تعلوها قبة كبيرة ، ويحف بهذه القاعة قاعات مستطيلة ، ويتصل بقاعة القبة بهو إيوان به قاعات صغيرة فى الأركان مغطاة بقباب . ولقد مهد المعمارى لقيام القبة بتحويل الجدار العلوى إلى مثمن وذلك بواسطة عدد من المثلثات على شكل المروحة مشيدة بالآجر (ش ١١٩) ، ولم يبق من البناء الأصلى لهذه المدرسة سوى قاعة القبة وقاعة الدراسة والضريح . ومن أمثلة هذا الطراز المقبب مدرستا « صيرجالى » بقونية المشيدة فى عام (٦٤٠ هـ — ١٢٤٢ م) و « إينجة منارلى » بقونية (ش ١٢٠) المشيدة عام (٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م) .

كانت الأضرحة فى مقدمة العمائر الدينية التى أدخلها السلاجقة فى تركيا كما أدخلوها فى إيران . وكانت على شكلين ، الشكل المضلع والشكل المستدير ، وكان النموذج الأول هو الأكثر شيوعاً (ش ١٢١) . وتختلف الأضرحة السلجوقية الإيرانية عن الأضرحة السلجوقية فى تركيا ، فتمتاز الأخيرة بالبساطة فى زخارفها كما أن عمارتها اعتمدت على الأحجار . وقد استمر الاهتمام ببناء الأضرحة فى تركيا حتى العصر العثمانى .

عمارة القصور :

لم يتبق من العمائر المدنية التى شيدها السلاجقة فى المدن التركية آثار تذكر ، وكان متبقياً حتى عام ١٩٠٦ من قصر مدينة قونية أطلال برج ، ووجد بهذا القصر بعض البلاطات الخزفية ذات البريق المعدنى مما يدل على الفخامة التى كانت عليها هذه القصور ، كما وجد به أوحات من الجص المزخرف بوحدات بارزة . والظاهر أن هذه القصور كان بها الكثير من العناصر المعمارية الفارسية كالإيوان والقاعة الكبيرة التى كانت تستخدم للاستقبالات ، أو كقاعة العرش ، كما كان يلحق بهذه القاعة مجموعة من الحجرات الجانبية .

ومن العمائر الدينية التى اهتم السلاجقة بإقامتها فى تركيا ، الخانات والوكالات

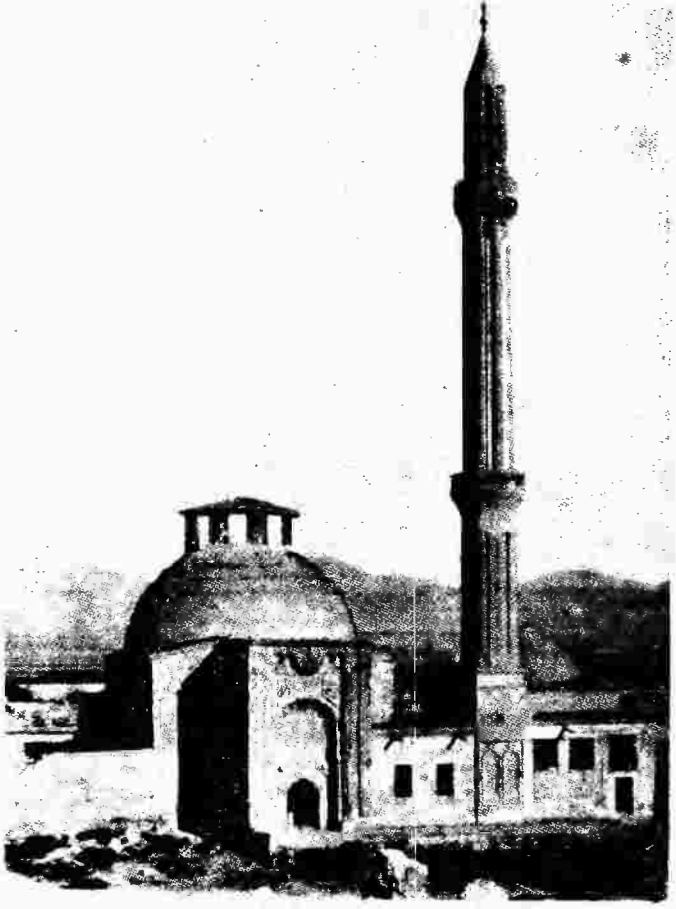

(شكل ١٢٠)
مدرسة (إنجة منارلى) ، ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م قونيا ، العصر السلجوق بتركيا .

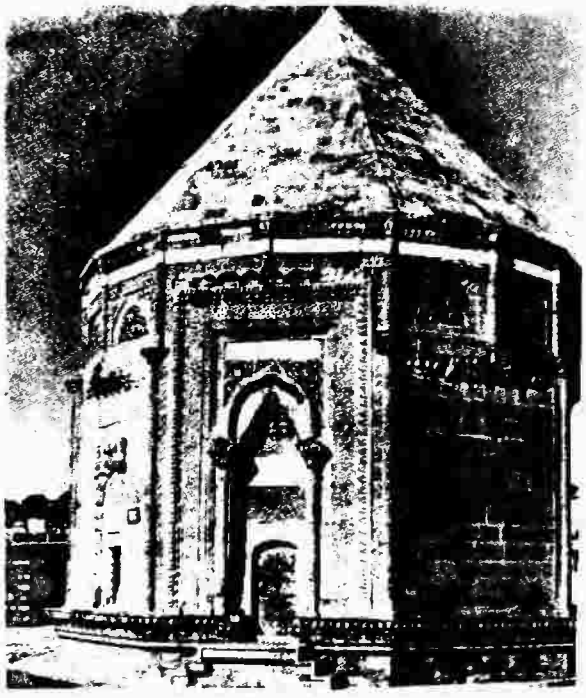

(شكل ١٢١)
ضريح مضلع ، القرن ٧ هـ - ١٣ م
العصر السلجوق بتركيا .

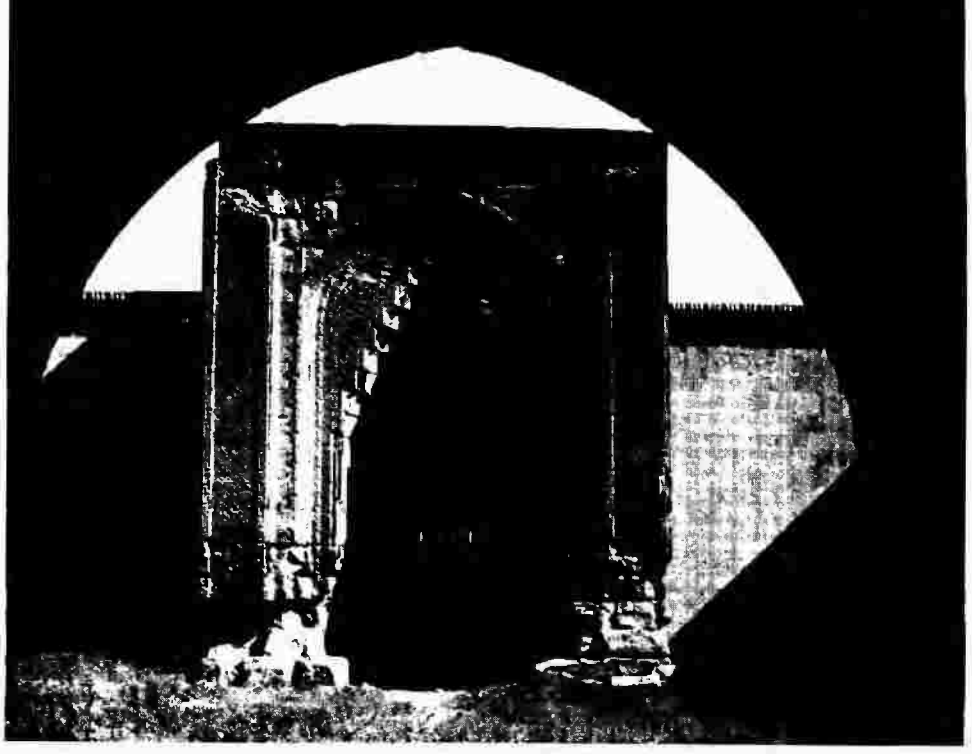

(شكل ١٢٢)
بوابة سلطان خان بالقرب قيصرية ، القرن ٧ هـ – ١٣ م السلجوق بتركيا .

(شكل ١٢٣)
زخارف مقرنصات ببوابة مدرسة قره طاى ، قونية العصر السلجوق ، تركيا .

(شكل ١٢٤)
بوابة جامع مدرسة إنجة منارلى ، قونيا ، تنفيذ كالوك بن عبد الله ، العصر السلجوق تركيا .

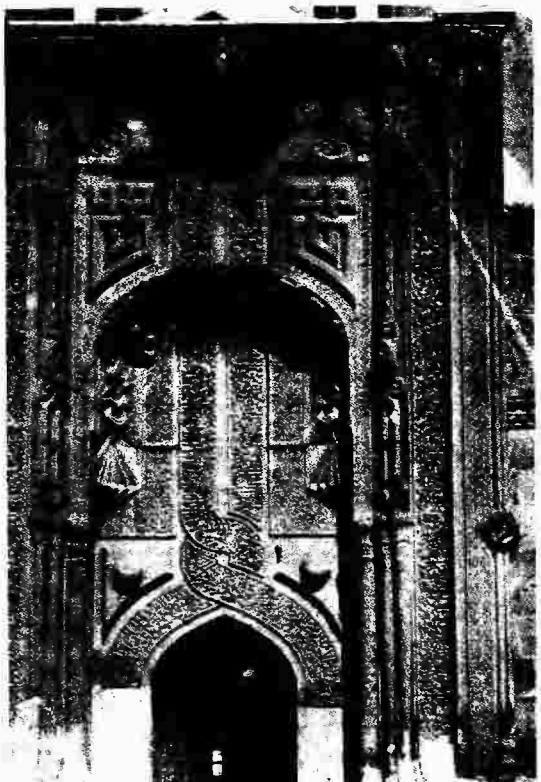

التى كان يأوى إليها المسافرون ، وقد انتشر هذا النوع من العمائر على الطرق الرئيسية. ومن المعروف أن هذه الوكالات كانت موجودة فى إيران فى العصر السلجوقى إلا أنها اندثرت جميعها . وتتميز الوكالات فى تركيا عن مثيلاتها فى إيران بالضخامة والمتانة. وتلتف الحجرات عادة حول مكان مستطيل مكشوف ، وينفذ الداخل إليه من باب يتوسط جدراناً سميكة مدعمة بأكتاف . وتتميز مداخل الوكالات بعقود شاهقة كما يلحق بها عادة مصلى صغير . ومن أشهر الوكالات « سلطان خان » (ش١٢٢) التى شيدت عام (٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م) على طريق قونية ، وتتميز ببوابة فخمة ، كما وجدت بها أربعة أبراج فى الأركان .

الزخارف المعمارية :

أصبح للزخارف المعمارية فى تركيا فى ذلك العصر أساليب مبتكرة لم تكن معروفة من قبل ، حيث كثر استخدام النحت على الحجر والجص فى الزخارف المعمارية ولقد استمر ظهور هذا الأسلوب بعد ذلك .

النحت على الحجر والجص :

اهتم السلاجقة فى تركيا بزخرفة عمائرهم من الخارج والداخل بزخارف منحوتة من الحجر والجص . ولقد ظهر هذا النوع من الزخارف فى شتى أنواع العمائر ، فنرى أمثلة منها فى الجوامع والمدارس والقصور والخانات . ومن أبدع نماذج الزخارف الحجرية ما وجد فى عمائر مدينتى قونية وديفرجى ، ويتضح منها اهتمام السلاجقة بالعناية بزخرفة مداخل العمائر ، وهذا ما تميزت به العمارة التركية . ولقد استخدم الأتراك فى ذلك شتى العناصر الزخرفية المعمارية ، كما نلاحظ أن المقرنصات قد استخدمت على نطاق واسع ، ونرى أمثلة منها فى مدرسة صيرجالى وجامع لارنده ووكالة سلطان خان ومدرسة قرة طاى (ش ١٢٣) . وفى بعض الحالات تغطى واجهة المدخل بأشرطة كتابية قليلة البروز مع زخارف أخرى من خطوط ومراوح نخيلية أكثر بروزاً . وخير مثال على تنوع الزخارف المحفورة فى درجات مختلفة واجهة بوابة مدرسة إينجه منارلى (ش ١٢٤) .

وفى بعض الحالات تزدحم الزخارف على السطح الحجرى، فنجد واجهة بعض المداخل قد غطيت بزخارف هندسية متشابكة مع زخارف أخرى من عناصر نخيلية ووريدات أكثر بروزاً، بالإضافة إلى زخارف المقرنصات . وخير مثال لذلك مدخل مستشفى فى مدينة ديفرجى شيدت عام ٦٢٦ هـ — ١٢٢٨ م . ومدخل المدرسة الزرقاء المشيدة عام ١٢٧١ — ١٢٧٢ م بمدينة سيفاس (ش ١٢٥) .

ويلاحظ فى بعض الحالات استخدام الزخارف الآدمية والحيوانية فى زخارف الحجر والجص . والظاهر أن العصر السلجوقى فى تركيا قد اقتبس هذا الأسلوب من العصر السلجوقى فى إيران . ويؤيد ذلك بعض اللوحات الجصية الموجودة فى متحف اسطنبول والمزينة بنقش لفارسين يهاجم أحدهما تنيناً والآخر يهاجم أسداً (ش ١٢٦) وتنسب هذه اللوحات إلى القصر الذى شيده السلطان علاء الدين قيقباد فى قونية[١] . كما وجد فى قصر السلطان بقونية أسود منحوتة وكان هذا الأسلوب الزخرفى معروفاً فى قصور الحيثيين ببلاط الأناضول فى العصور القديمة [٢] .

الفنون الصغيرة :

النحت على الخشب :

بلغ الحفر على الخشب درجة كبيرة من الدقة والإتقان فى تركيا خلال القرنين الثانى والثالث عشر الميلادى . ويؤيد ذلك ما عثر عليه من منابر خشبية ومصاحف وتوابيت وأبواب منقوشة بزخارف غاية فى الدقة والروعة . ولقد زخرفت هذه المصنوعات الخشبية غالباً بوحدات هندسية . ومن أجمل هذه النماذج باب يرجع تاريخه إلى القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ، ويغطى سطح الباب زخارف هندسية على هيئة الأشكال النجمية (ش ١٢٧) . ويحيط بهذا الجزء المنقوش بالزخارف الهندسية إطار به زخارف نباتية دقيقة . كما يعلو الباب شريط من الكتابة النسخية .

---

(١) نسب الأستاذ زره هذه اللوحات الجصية إلى قصر علاء الدين قيقباد . ويظن الأستاذ ديماند أنها ترجع إلى تاريخ لاحق وربما يكون فى عصر السلطان قليج أرسلان الرابع ٦٥٥ — ٦٦٦ (١٢٥٧ — ١٢٦٧) كتاب الفنون الإسلامية للأستاذ م. ديماند ترجمة أحمد محمد عيسى دار المعارف ، ١٩٥٨ .

(٢) انظر كتاب « فنون الشرق الأوسط القديم » نعمت إسماعيل علام (ش ١٥٤) .

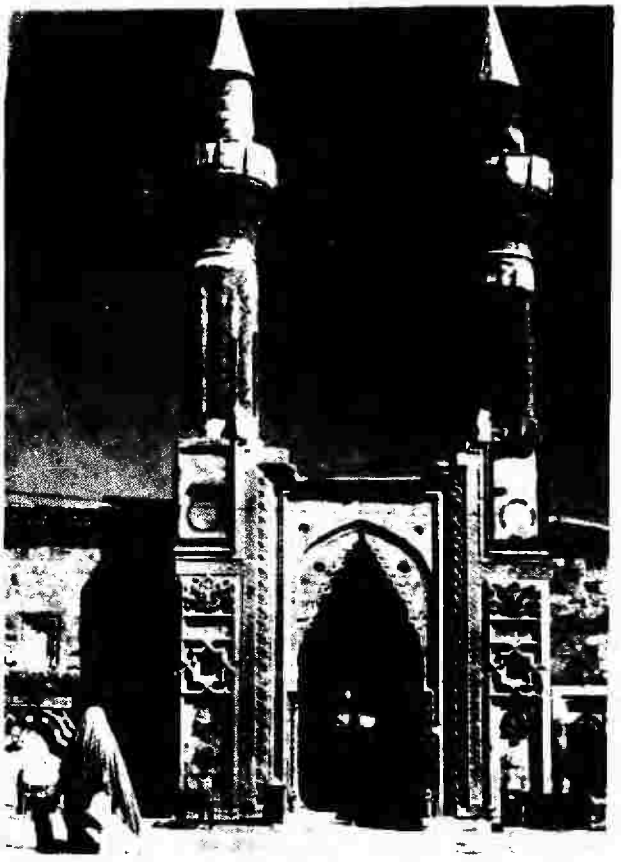

(شكل ١٢٥)
بوابة المدرسة الزرقاء بمدينة سيفا ، أواخر القرن ٧ هـ – ١٣ م العصر السلجوق ، تركيا .

(شكل ١٢٧)
باب خشبى منقوش بزخارف هندسية وكتابية ، القرن ٦ هـ – ١٢ م عثر عليه فى قونية العصر السلجوق بتركيا . حالياً متحف مدينة قونيه .

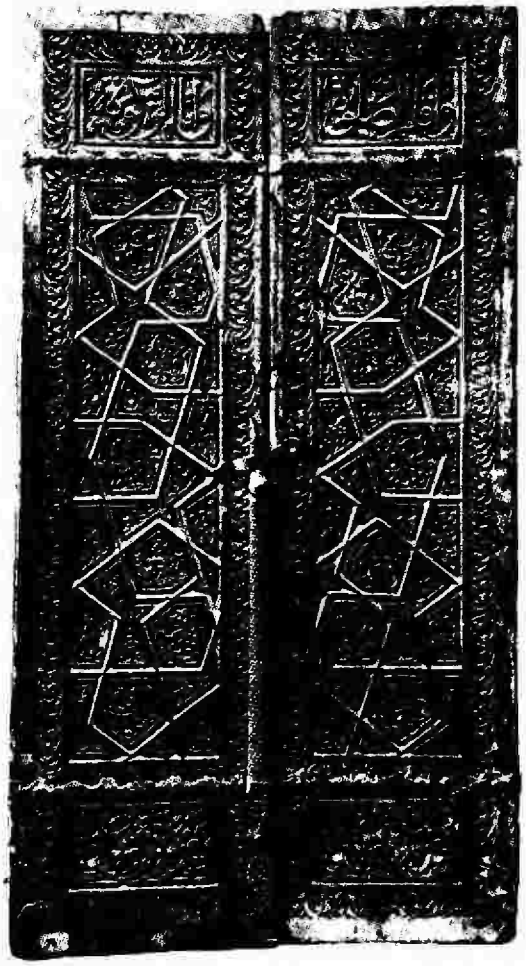

(شكل ١٢٦)
نقش بارز على الحجر ، وجد فى قصر السلطان علاء الدين قيقباد فى قونيا ، القرن ٧ هـ – ١٣ م العصر السلجوق ، تركيا . حالياً متحف الدولة ببرلين .

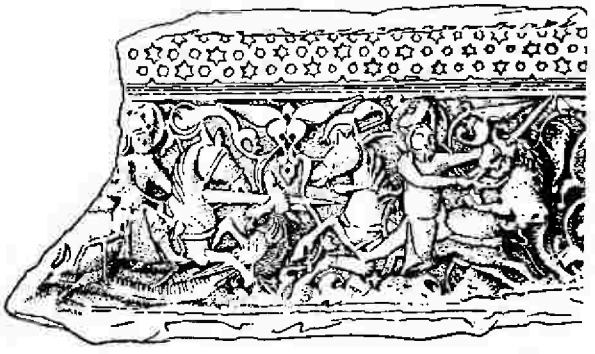

(شكل ١٢٩)

ظهر مرآة من المعدن المنقوش ومكفت بالذهب ، القرن ٧ هـ – ١٣ م العصر السلجوقي بتركيا . حالي متحف توبكابي سراي ، تركيا .

(شكل ١٢٨)

كرسي خشبي للمصحف كان في مسجد علاء الدين بقونيا ، القرن ٧ هـ – ١٣ م العصر السلجوقي بتركيا صنع عبد الوهاب بن سليمان ، حالياً بمتحف الدولة ببرلين .

(شكل ١٣٠)

إناء خزفي . وتظهر به زخارف آد وشريط كتابي ، العصر السلج بتركيا ، حالياً متحف أنقره .

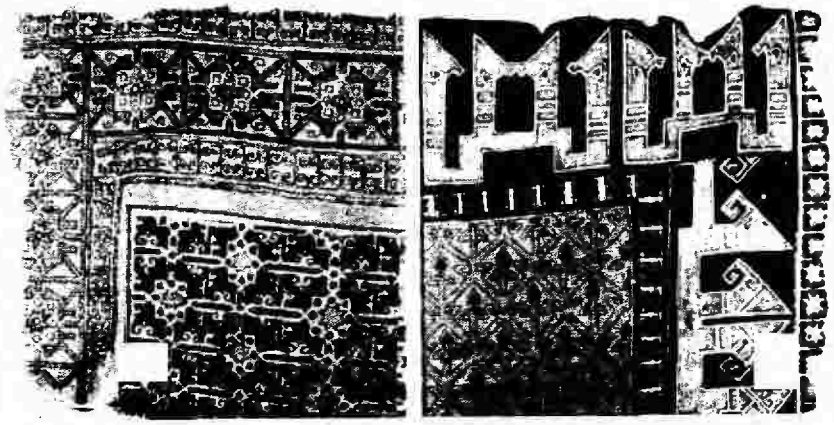

(شكل ١٣١)

سجاد مسجد علاء الدين بقونيا القرن ٧ هـ – ١٣ م العصر السلجو بتركيا ، حالياً متحف الفنون التر والإسلامية بأسطنبول ، تركيا .

ويظهر فى بعض الأحيان ميل السلاجقة إلى استخدام العناصر الحية فتظهر وحدات حيوانية مع الزخارف النباتية .

ومن أجمل القطع التى تظهر فيها الزخارف النباتية وزخارف الأرابيسك منقوشة بمهارة ، كرسى مصحف كان فى مسجد علاء الدين بقونية (ش ١٢٨) قوام الزخرفة فيه عناصر كتابية ونباتية . وتظهر الزخارف الكتابية محفورة حفراً عميقاً فى الجزء العلوى ، أما الجزء الأسفل فيزينه فروع نباتية ومراوح نخيلية تنتهى أوراقها بأشكال أزرار . ويمكن إرجاع هذه الأشكال إلى قبائل الإيغور التركية . ويوجد على هذا الكرسى نقش باسم صانعه عبد الواحد بن سليمان وترجع صناعته إلى القرن الثالث عشر الميلادى .

المعادن :

لم تصل صناعة المعادن فى تركيا فى عهد السلاجقة إلى التقدم الذى وصلت إليه فى إيران ، كما أن طرق التكفيت بالفضة الذى اشتهرت به إيران لم يكن معروفاً فى مصنوعات تركيا ، واقتصرت الزخارف على النقش فى السطح المعدنى . ويقل فى المعادن استخدام الزخارف الهندسية بينما يظهر فيها ميل السلاجقة إلى استخدام العناصر الحية التى اشتهروا بها . ويتضح ذلك فى مرآة معدنية تظهر بها زخارف لحيوانات تجرى وتنينات . ويتوسط المرآة وحدة فارس ذاهب إلى الصيد (ش ١٢٩) .

الخزف :

بالرغم من أنه لم يصل إلينا إلا النادر من الأوانى الخزفية التى صنعت فى تركيا فى العصر السلجوقى ، إلا أنه يتضح من زخارفها ارتباطها بأسلوب زخارف الأوانى الميناوية الإيرانية ، مما يرجع وجود مراكز لإنتاج هذا النوع من الخزف تكونت فى تركيا بعد الغزو المغولى لإيران . ويؤيد ذلك إناء عثر عليه فى تركيا تظهر به زخارف آدمية (ش ١٣٠) . ومما يؤكد وجود هذه الصناعة فى تركيا ، استخدام البلاطات والفسيفساء الخزفية فى زخرفة جدران العمائر . حيث عثر فى خرائب قصر قونية على بلاطات خزفية بها زخارف تشبه زخارف الأوانى الميناوية . كذلك كشفت الحفائر

التى تمت فى قصر قباد أباد على وجود عدد من البلاطات الخزفية مشكلة على هيئة نجوم وصلبان مزخرفة بالدهان والبريق المعدنى ، برسوم لأشخاص جالسين [لوحة ملونة رقم ٢] وبعض الحيوانات ، كما وجدت بها زخارف نباتية وتفريعات الأرابيسك تشابه كثيراً زخارف بعض الأوانى المعاصرة التى عثر عليها فى إيران والرقة . ويؤيد ذلك الاتصال الثقافى والفنى الوثيق الذى وجد فى المنطقتين فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلادى . ولو أن سلاجقة إيران استخدموا تربيعات الخزف ذى البريق المعدنى لكسوة الجدران، إلا أن الفضل فى استخدام هذا الأسلوب المعمارى يرجع إلى السلاجقة المقيمين فى تركيا . كما أن استخدام الفسيفساء الخزفية فى كسوة المسطحات لم تظهر فى إيران إلا فى العصر المغولى فى حين أنها استخدمت فى تركيا فى العصر السلجوقى ، وربما انتقل هذا الأسلوب من تركيا إلى إيران .

ولقد استخدم الفنان السلجوقى فى تركيا الفسيفساء الخزفية فى تغطية جدران المحاريب والمدافن والقباب (شكل ١١٩) ، ويحصل الفنان على زخارفه عن طريق أجزاء صغيرة من البلاطات الخزفية المدهونة بأشكال وأحجام مختلفة ، يلصقها على طبقة من الجص مما يعطى منظراً جميلا . وكانت الألوان المستخدمة مقصورة على الأزرق الفاتح والداكن والبنى والأسود والأبيض ، كما وجدت أحياناً بلاطات مزخرفة باللونين الذهبى والأزرق فوق الدهان .

السجاد :

يرجع الفضل إلى السلاجقة فى إدخال صناعة السجاد إلى العالم الإسلامى . فصناعة السجاد المعقود كانت مقصورة على قبائل التركمان الرحل الذين كانوا يستخدمونه فى بلادهم للوقاية من البرد بدلا من الفراء ، كما استخدموه أيضاً لتغطية أرضيات الخيام . ولقد عرف المسلمون هذا السجاد عندما دخلت هذه القبائل فى الدين الإسلامى فى القرنين الثامن والتاسع الميلادى . ومن المحتمل أن هذه الصناعة أدخلت إلى تركيا عن طريق السلاجقة . ويؤكد ذلك بعض قطع من سجاد كانت بمسجد علاء الدين فى قونية ويحتمل أن يرجع صناعتها إلى القرن الثالث عشر الميلادى .

ويظهر التباين فى زخارف هذه السجادة (ش ١٣١) فالجزء الأوسط يحتوى على زخارف هندسية متداخلة أما الإطار فزخرف بحروف كوفية كبيرة غير مفهومة . أما الألوان المستخدمة فهى أطياف من الأحمر فى الجزء الأوسط من السجادة والأزرق المخضر مع قليل من الأحمر والأصفر فى الإطار . ويمكن القول إن السجاد الأناضولى المعقود الذى تطور بعد ذلك كانت هذه المرحلة هى بدايته .

يلاحظ مما سبق أن الفن السلجوقى فى تركيا قد قضى على الصبغة البيزنطية التى كانت سائدة فى تلك البلاد منذ العصور القديمة ، كما حافظ على كثير من العناصر الرئيسية التى وجدت فى إيران خاصة فى المصنوعات الخزفية . أما فى العمارة فتظهر أساليب جديدة مختلفة عما عرف فى إيران ، وهى المساجد ذات الإيوانات المغلقة ، كما ظهر اهتمام خاص بمداخل العمائر والزخارف الموجودة بها . ولقد تميز ذلك العصر ببراعة الفنان فى النحت على الحجر وظهر ذلك فى العناصر المعمارية الزخرفية ، كما ازدهرت صناعة الفسيفساء الخزفية فى ذلك العصر .

الفصل الثالث

أتابكة السلاجقة

(١١٢٧ – ١٢٦٢ م)

تمزقت دولة السلاجقة فى إيران بعد موت السلطان سنجر الثانى فى عام ٥٥٢ هـ ١١٥٧ م، وانقسمت الدولة الموحدة التى أسسها طغرل بك إلى دويلات صغيرة حكمها بعض أفراد أسرته ، كما استقل بحكم بعض أجزاء منها الضباط الذين كانوا ولاة على هذه البلدان من قبل الأسرة السلجوقية ويعرفون باسم الأتابكة . فاستقل بحكم سوريا وحلب وحمص وحماه وبعلبك أتابكة من أسرة « بنى زنكى »، ووصلت دمشق تحت حكم « نور الدين محمد بن زنكى » (٥٤١ – ٥٦٩ هـ) (١١٤٦ – ١١٧٣ م) إلى مكانة عالية من الناحية الفنية وذلك فى القرن الثانى عشر وأوائل الثالث عشر الميلادى . كما خضعت الموصل لسلطان فرع من بنى زنكى فيما بين عامى ١١٢٧ – ١٢٦٢ م . ومن أشهر حكام الموصل « بدر الدين لؤلؤ » (٦١٥ – ٦٥٨ هـ) (١٢١٨ – ١٢٥٩ م) الأرمنى الأصل الذى تمكن من الوصول للحكم . ولقد ازدهرت الفنون فى هذه المدينة فى فترة حكمه . كذلك نصب « بنو أرتق » أنفسهم حكاماً على بلاد العراق الجبلية وكانت مراكز حكمهم فى « ديار بكر » « وكايفا » « وماردين » .

العمارة :

بالرغم من أن المشيدات التى أقيمت فى عصر الحكام الأتابكة بها بعض الإضافات من العهود التالية ، إلا أن ما تبقى منها يدل على أن المعماريين فى ذلك العصر ، قد استعانوا فى مشيداتهم بمجموعة من العناصر المعمارية المستمدة من العصر السلجوقى فى إيران وتركيا بالإضافة إلى بعض العناصر المحلية التى كانت موجودة فى البلاد قبل ذلك . ويظهر هذا بصفة خاصة فى العراق ، حيث عُرف بعض العمائر على إيوانات ذات دعائم . ولم يظهر الاهتمام بزخارف الواجهات الذى عرف فى تركيا بل اقتصرت الزخارف على جدار القبلة .

عمارة المساجد :

حافظ المعماريون فى سوريا فى عهد بنى زنكى على تصميم الجامع المستطيل الذى تنفتح أروقته على الصحن المكشوف . ولا يوجد فى هذا النموذج قبة وذلك لعدم وجود رواق قاطع لرواق القبلة . ولم يعثر إلا على مسجد واحد له قبة وهو جامع مدرسة ركن الدين بدمشق المشيد عام ٦٢١ هـ — ١٢٢٤ م .

ويتميز جامع حلب بأساليب معمارية مختلفة ، ولقد بدئ فى تشييد هذا الجامع فى عصر آل زنكى وتم بعد ذلك فى عصر « صلاح الدين الأيوبى » . لذلك تظهر به بعض العناصر المعمارية المعروفة فى عصر الأتابكة والتى استمرت حتى العصر الأيوبى ، بالإضافة إلى بعض العناصر المعمارية الموروثة عن التقاليد القديمة فى سوريا كالمئذنة الحجرية المربعة (ش ١٣٢) ورواق الصلاة المتسع . ويتميز هذا الجامع ببساطة زخارفه التى تقتصر على بلاطات الرخام المتعدد الألوان التى تغطى أرض صحن الجامع ، كما يوجد بالمسجد محراب ملون . وينسب إلى ذلك العهد المنبر الجميل الذى أهداه نورالدين زنكى إلى المسجد الأقصى بالقدس (ش١٣٣).

أما فى العراق فنجد أن الجامع الكبير الذى شيده نور الدين محمود الأتابك فى عام (٥٤٣ هـ — ١١٤٨ م) بالموصل ، يتكون من صحن يحيط به إيوانات لا يزال إحداها قائمًا وهو إيوان القبلة[1] المغطى بقبة . ويحمل السقف دعامات مثمنة استخدم الآجر فى تشييدها . ولا يزال بالجامع مئذنة قائمة تتميز بقاعدة مكعبة وجسم اسطوانى يضيق تدريجيًا كلما ارتفع حتى ينتهى بقبة تشبه الخوذة تعرف باسم « الحدباء » . وتأخذ المآذن فى العراق أشكالا مختلفة . ففى مدينة «بالس» وجدت منارة مثمنة الأضلاع ذات درج حلزونى ويشتمل جدارها على فتحات . كما وجدت فى مدينة بغداد مئذنة على الطراز السلجوقى فى جامع الخليفة الصغير ، وتتكون زخارف الجزء الأعلى منها من وحدات المقرنصات الموضوعة فى صفوف تزداد بروزاً فى كل صف .

---

(١) الفن الإسلامى ، ارنست كونيل ، ماقبله ص ٦٦

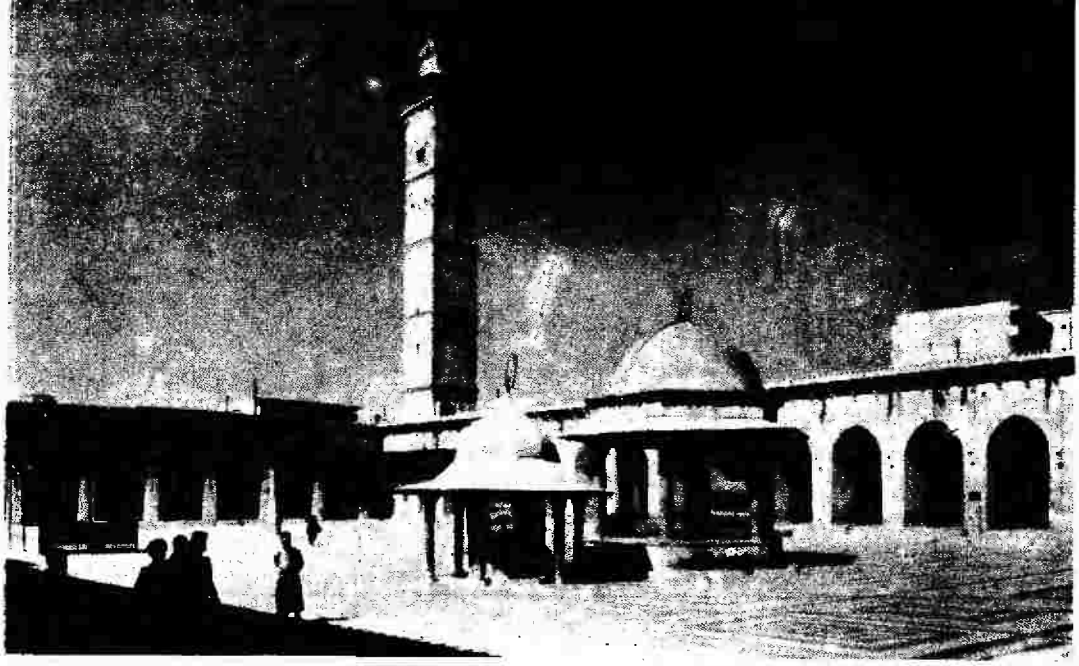

(شكل ١٣٢)

الفناء الداخل لجامع حلب ، سوريا ، القرن ٦ – ٨ ، ١٢ – ١٣ م ، أتابكة السلاجقة .

(شكل ١٣٤)

ضريح ينسب للسيدة زبيدة زوجة هارون الرشيد ، القرن ٧ ٨ – ١٣ م ، بغداد . عصر أتابكة السلاجقة .

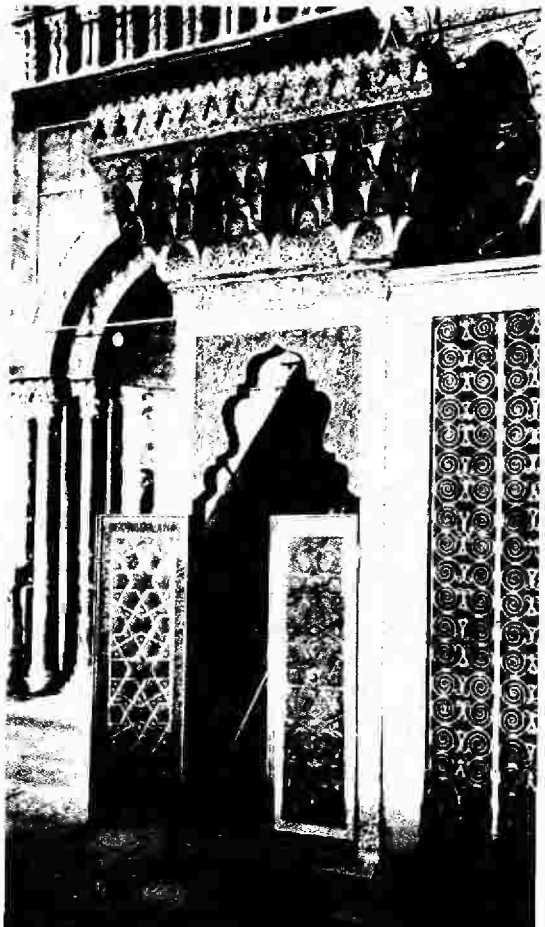

(شكل ١٣٣)

منبر وضعه السلطان نور الدين فى المسجد الأقصى بالقدس ، ١١٦٨ – ١١٧٤ م . عصر أتابكة السلاجقة .

(شكل ١٣٥)

جزء تفصيلى للنقش الذى كان موجوداً أعلى بوابة الطلسم ببغداد ، ٦١٨ هـ – ١٢٢١ م ، وهو غير موجود حالياً . عصر أتابكه السلاجقة .

(شكل ١٣٦ ، ١٣٦ ا)

إبريق معدنى مكفت بالفضة ، من صنع شجاع بن منعه ، الموصل ، مؤرخ عام ٦٣٠ هـ – ١٢٣٢ م . (ا) أجزاء تفصيلية لجوانب الإبريق ، عصر أتابكة السلاجقة حالياً بالمتحف البريطانى ، لندن .

المدارس والأضرحة :

شجع بنوزنكى فكرة تشييد المدارس فى سوريا والموصل لدراسة المذهب الحنفى ، فانتشرت المدارس فى دمشق وحماه وبعلبك والموصل . ومن أشهر هذه المدارس المدرسة النورية التى شيدها نور الدين عام ١١٧٢ م . كما انتشرت فى بقية العراق المدارس لدراسة المذهب الحنبلى . واقتصر المذهب المالكى على شمال أفريقيا . ولقد فكر الخليفة المستنصر فى أواخر أيام الدولة العباسية فى إنشاء مدرسة تجمع بين دراسة هذه المذاهب الأربعة ، فأنشأ لذلك المدرسة المستنصرية فى بغداد عام (٦٣٠ هـ — ١٢٣٢ م) وخصصها لدراسة هذه المذاهب . ولقد تهدمت هذه المدرسة ولم يبق منها إلا أطلال . ويتبع تصميم هذه المدرسة ، نموذج المدارس ذات الأقسام الأربعة التى نشأت فكرتها أولا فى إيران فى عصر السلاجقة .

ظهر الاهتمام بعمارة المدافن ذات القباب فى سوريا أيضًا وتنوعت أشكالها . فنجد فى قبر « نور الدين » الملحق بمدرسته فى دمشق قبة ذات خلايا ، كما وجد بالقرب من الموصل أضرحة ذات قباب عالية تشبه الخيمة . ولقد انتشر فى العراق هذا النمط من القباب المرتفعة ذات الخلايا وكان بعضها على شكل هرمى اعتمدت زخارفه على عناصر المقرنصات ، ومن أمثلة ذلك ضريح السيدة زبيدة المشيد بالقرب من بغداد (ش ١٣٤) . ويرجح العلماء أن زخرفة المقرنصات الموجودة بالقبة قد أضيفت عندما رمم هذا الضريح فى عصر الأتابكة ، وذلك لأن استخدام المقرنصات كعنصر زخرفى لم يعرف فى العراق قبل القرن السادس الهجرى — الثانى عشر الميلادى .

عمارة القصور والعمارة الحربية :

لم يتبق من قصور الأتابكة بالعراق إلا أطلال القصر المعروف باسم « قرة سراى » أى القصر الأسود الذى شيده الأمير بدر الدين لؤلؤ فى الموصل على نهر دجلة عام (٦٣١ هـ — ١٢٣٣ م) . كذلك عثر على آثار لا تذكر من قصر دياربكر الذى ذكر أنه كان يحتوى على خمسين غرفة لسكن الحاكم وحاشيته ، وبوابتين كانتا بقصر سلجوقى فى بغداد . أما فى سوريا فلم يعثر على آثار للقصور الفخمة التى كان يقيم بها آل زنكى . والظاهر أن هذه القصور كان بها الكثير من العناصر

المعمارية السلجوقية ، حيث وجد فى الآثار المتخلفة من قصر الموصل إيوان كبير مكشوف ، كما عثر على زخارف من الطوب الخزفى فى قصر ديار بكر .

الزخارف المعمارية :

النحت على الحجر والجص :

يظهر تأثير العنصر السلجوقى واضحاً فى بلاد العراق وسوريا فى فترة حكم الأتابكة فى الزخارف الحجرية ، حيث استبدلت الزخارف المجردة التى كانت منتشرة فى العصر العباسى بزخارف بارزة بها عناصر آدمية وحيوانية مما كان شائعاً فى الفن السلجوقى . ويتضح ذلك فى جدران بوابة الطلسم ببغداد حيث نجد بها نحتاً بارزاً لشخص جالس يقبض على تنينين (ش ١٣٥) . ويفسر البعض معنى هذه الوحدة على أنها تعويذة ذات أثر سحرى لدفع الشر ، كما تفسر أيضاً على أنها تعنى أن الحاكم يروض أعداءه. وفكرة شخص يصارع حيوانين هى أسطورة عرفت قديماً فى بلاد النهرين (جلجامش يصارع الأسود) كما أن التنين مستمد من الفن الصينى . ولقد شيدت هذه البوابة عام (٦١٨ هـ — ١٢٢١ م) ولكنها تهدمت عام ١٩١٧ م .

وتكشف الزخارف الجصية التى وجدت فى قصر « بدر الدين لؤلؤ » حاكم الموصل عن التأثر بالفن السلجوقى ، حيث عثر على زخارف جصية بارزة لعناصر آدمية وطيور . كما يزخرف أرضية أحد الأشرطة الكتابية نقوش بارزة لتفريعات نباتية تنتهى برءوس حيوانات . وهذا الأسلوب ظهر فى إيران فى عهد السلاجقة . ولقد عثر على هذا النوع من النقوش الكتابية التى تنتهى بأشكال الحيوانات والطيور فى « ديار بكر » .

الفنون الصغيرة :

المعادن :

تبوأت الموصل الزعامة فى صناعة المعادن فى بداية القرن السابع الهجرى أى الثالث عشر الميلادى ، خلال فترة حكم بنى زنكى المتذوقين للفنون . وتظهر هذه

(شكل ١٣٧)
مرآة من البرونز بزخارف بارزة ، عصر بنى أرتق أتابكة السلاجقة فى العراق ، منتصف القرن ٧ هـ — ١٣ م حالياً مجموعة خاصة .

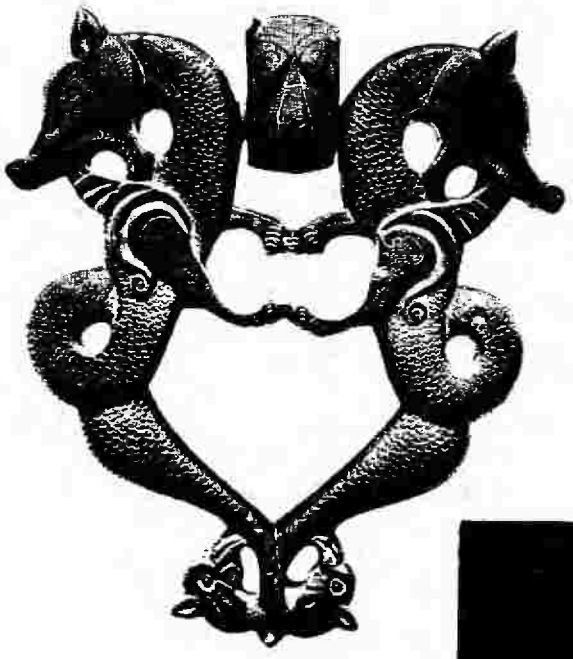

(شكل ١٣٨)
سقاطة باب من البرونز ، مشكلة على هيئة حيوانين خرافيين ، العراق ، فى أوائل القرن ٧ هـ — ١٣ م ، متحف الدولة ببرلين .

(شكل ١٣٩)
طبق خزف متعدد الألوان ، القرن ٧ — ٨ هـ ، ١٣ — ١٤ م ، الرقة ، فى عصر أتابكة السلاجقة حالياً مجموعة خاصة ، بباريس .

(شكل ١٤٠)

طبق خزفى بزخارف سوداء تحت طلاء فاروزى ، قرن ٥٨ هـ - ١٤ م ، الرقة ، فى عصر أتابكة السلاجقة حالياً بمتحف فيكتوريا وألبرت ، لندن .

(شكل ١٤١)

سلطانية بزخارف سوداء تحت دهان فاروزى ، أواخر قرن ٦ هـ - ١٢ م الرقة فى عصر أتابكة السلاجقة حالياً بمتحف فرير بواشنطن . تفضلا من المتحف

(شكل ١٤٢)

مخطوط كتاب الترياق ، يصور زيارة الطبيب للفلاحين فى الحقول ، صور فى العراق فى عصر أتابكة السلاجقة ، مؤرخ ٥٩٥ هـ - ١١٩٩م حالياً المكتبة الأهلية بباريس .

الزعامة بصفة خاصة فى صناعة التكفيت المتقن برقائق من الأشرطة الفضية ،وكذلك استخدمت شرائط من الذهب أيضًا للتكفيت عوضًا عن شرائط النحاس الأحمر الذى كان معروفًا فى إيران فى العصر السلجوقى . واشتهرت به مدينة هراه . وربما انتقلت هذه الصناعة من إيران إلى الموصل فى بداية القرن السابع الهجرى أو الثالث عشر الميلادى ، بعد أن هجر الصناع المهرة إيران إثر خروج هراه عن حكم السلاجقة فى عام ٥٧١ هـ — ١١٧٥ م . كما زادت هجرة العمال لإيران فى بداية القرن السابع الهجرى — الثالث عشر الميلادى على أثر الغزو المغولى . ويمكن القول إن مجموعة الأوانى المعدنية المكفتة التى تنسب إلى الموصل تعد من أجمل ما أنتج من هذا النوع . وكان للموصل أكبر الأثر فى تطور هذه الصناعة بعد ذلك فى سائر الأقطار الإسلامية ، حيث رحل عن العراق صناع كثيرون إلى القاهرة وحلب **ودمشق هربًا من الغزو المغولى ، وأنشأوا مراكز جديدة فى هذه البلاد لصناعة التحف المعدنية وتكفيتها بالفضة والذهب . ويؤيد ذلك توقيعاتهم المنقوشة على الأوانى . وكانت الأوانى المصنوعة فى دمشق يصعب تمييزها أحيانًا عن أوانى الموصل** لتشابه أسلوب صناعتها . ولقد أمكن تأكيد نسبة بعض الأوانى المعدنية المطعمة بالفضة إلى الموصل وذلك لاحتوائها على نقوش باسم السلطان بدرالدين لؤلؤ الزنكى حاكم الموصل .

ويظهر تأثر مدرسة الموصل بأشكال وزخارف الأوانى الإيرانية ، فى إبريق من النحاس يعد أهم مصنوعات ذلك العهد ، فنلاحظ أنه مكفت بزخارف غاية فى الدقة لموضوعات اللهو والصيد موضوعة داخل مناطق منفصلة (ش ١٣٦) . ويظهر على هذا الإبريق تاريخ صناعته (٦٣٠ هـ — ١٢٣٢ م) واسم صانعه « شجاع بن منحة » الموصلى . ولو أن الفنان استخدم المناطق لزخرفة الإناء مقلداً بذلك الأسلوب السلجوقى بإيران ، إلا أنه تميز بأسلوب مبتكر هو تغطية سطح الأرضية بنقوش لخطوط متكسرة ذات زوايا أو تفريعات الأرابسك (ش١٣٦ أ) . كما نلاحظ بالزخارف الموصلية رسم أهلة يحملها بعض الأشخاص الجالسين فى وضع الواجهة ، ولقد ظهرت هذه الأهلة على بعض قطع العملة الخاصة ببنى زنكى .

ومن أساليب الصناعة المبتكرة التى تنسب إلى ذلك العصر زخرفة الأوانى المعدنية

بالميناء ، ويتضح ذلك فى صينية من النحاس الأصفر مزينة بزخارف مطعمة بالمينا المتعددة الألوان ، الأخضر والأزرق والأصفر والأحمر والأبيض [لوحة ملونة رقم ٢] ، وتحمل هذه الصينية اسم أحد سلاطين بنى أرتق ركن الدولة داود الأرتقى الذى كان يحكم فى ديار بكر وكنفا فى الفترة من (٥٠٨ — ٥٤٣ هـ) (١١٠٨ — ١١٤٨م). وتتكون الزخارف من مناطق مستديرة بها وحدات آدمية وحيوانية ويفصل هذه الجامات أشجار مختلفة ورسوم راقصات . ويدور حول حافة الصينية شريط به كتابات نسخية باسم الأمير الأرتقى . ويظهر فى هذه الزخارف تأثر الفنان بالفن الإيرانى قبل ظهور الإسلام . ويعد هذا الإناء من الأوانى النادرة التى استخدمت فيها المينا الملونة .

ومن الصناعات البرونزية ذات الزخارف البارزة التى زاولها الصناع فى العراق فى عصر الأتابكة ، مرايا من البرنز عليها نقوش بارزة . ويظهر هذا لأسلوب فى مرآة من عهد بنى أرتق (ش ١٣٧) مزخرفة بنقوش بارزة لوحدات حيوانية فى وضع متدابر ، ويحيط بحافة المرآة شريط كتابى يتضمن اسم الحاكم الأرتقى . ولقد أتقن الصناع أيضاً عمل المصنوعات المعدنية بطريقة السباكة ، ومثال ذلك قطعة معدنية تنسب إلى عصر بنى زنكى فى العراق مشكلة على هيئة تنينين متقابلين ملتفة أجسامهما بعضها حول بعض (ش ١٣٨) وهذه من الوحدات التى انتشرت فى عصر السلاجقة

الخزف :

اشتهرت عدة مراكز فى سوريا بإنتاج الخزف فى القرنين الثانى والثالث عشر الميلادى ، ومن أهم هذه المراكز الرقة على نهر الفرات والرصافة غرب الفرات . وكانت مدينة الرقة أهم وأقدم مركز لصناعة الخزف فى هذا العصر، ونافست بإنتاجها ما صنع فى الرى وقاشان . ولقد استمر خزافو الرقة فى مزاولة نشاطهم حتى هاجم المغول المدينة فى عام ٦٥٨ هـ — ١٢٥٩ م، حيث بدأ منذ ذلك الوقت ظهور مراكز أخرى لصناعة الخزف فى دمشق والرصافة .

تنسب إلى الرقة عدة أنواع من الخزف ، النوع الأول ترسم زخارفه بالبريق المعدنى البنى فوق طلاء شفاف يميل إلى الخضرة . ويندر وجود هذه اللون البنى المعدنى فى

(شكل ١٤٣)

الصفحة الأولى من مخطوط كتاب الأغانى لأبى فرج الأصفهانى، ٦١٥هـ — ١٢١٨ م صور فى العراق فى عصر أتابكة السلاجقة ، حاليا بالمكتبة الأهلية فى أسطنبول .

(شكل ١٤٤)

مخطوط خواص العقاقير للمؤلف ديوسكريدس ، ٦١٩ هـ — ١٢٢٢ م « طبيب يستخرج نبات من الحقل » ، العراق فى عصر أتابكة السلاجقة ، حالياً بمتحف فرير ، واشنطن .

(شكل ١٤٥)

مخطوط خواص العقاقير للمؤلف ديوسكريدس ، ٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م عصر أتابكة السلاجقة بالعراق ، حالياً بمتحف أسطنبول .

(شكل ١٤٦)

مخطوط مقامات الحريري ، من رسم يحيى الواسطي ، ٦٣٤ هـ - ١٢٣٧ م بغداد عصر أتابكة السلاجقة ، العراق ، حالياً بالمكتبة الأهلية ، باريس .

مثل هذا النوع من الأوانى التى وجدت فى مراكز صناعة الخزف الأخرى. وتشتمل زخارف هذه المجموعة على تفريعات نباتية وكتابات نسخية أو كوفية . وكانت بعض هذه الزخارف تترك أحيانًا بيضاء أو يغطى بعضها بالبريق المعدنى البنى الداكن، وتتشابه زخارف خزف الرصافة غالبًا مع خزف الرقة إلا أن البريق المعدنى الموجود بأوانى الرصافة يميل أكثر إلى اللون الأحمر . وفى بعض الحالات كان يضاف إلى هذه الأوانى لون أزرق مما يعطيها لونًا جذابًا (ش ١٣٩) . أما النوع الثانى من خزف الرقة فتتميز زخارفه المرسومة تحت الدهان بتعدد ألوانها مما يذكرنا بالأوانى الإيرانية ، وتشتمل هذه الزخارف على عناصر نباتية أو وحدات آدمية وحيوانية (ش ١٤٠) . ومن أشهر أنواع الخزف التى تميزت به الرقة أيضًا مجموعة من الأوانى تعتمد زخارفها على عناصر زخرفية مرسومة باللون الأسود تحت الدهان الفاروزى أو الأخضر (ش ١٤١) . ويلاحظ أن الوحدة الرئيسية تحيط بها مناطق تزخرفها نقط.

وبينما نلاحظ أن النوع الأول والثانى يمكن أن يكون تقليداً للخزف السلجوقى وربما اشترك فى صناعته بعض الخزافين الذين هاجروا من الرى بعد أن دمرها المغول، نجد أن النوع الأخير هو ابتكار خاص اقتصر على خزافى سوريا الذين توصلوا إليه فى القرن السابع الهجرى ــ الثالث عشر الميلادى .

استمرت دمشق التى نجت من الغزو المغولى فى إنتاج الخزف فى القرن السابع الهجرى ــ الثالث عشر الميلادى، وتتشابه مجموعة الأوانى الخزفية التى تنسب صناعتها إلى دمشق مع خزف الرقة فى استخدام الزخارف النباتية والكتابية . ويظهر الاختلاف فقط فى الأوانى ذات البريق المعدنى، حيث عثر على أوان تزينها زخارف بالبريق المعدنى الذهبى فوق أرضية ملونة باللون الأزرق .

وينسب إلى الموصل عدد من الجرار الكبيرة غير المدهونة يمكن نسبة صناعتها إلى القرنين الثانى والثالث عشر الميلادى ، وربما كانت تستخدم لحفظ المال أو النبيذ ، وتشتمل زخارف هذه المجموعة على موضوعات ذات عناصر آدمية وحيوانية بازرة تلتف حول رقبة الإناء ولقد نفذت هذه الزخارف بواسطة القرطاس أو القمع. وتتشابه هذه الموضوعات مع الموضوعات التى وجدت فى الزخارف المعدنية الموصلية حيث نجد حكامًا جالسين فى وضع المواجهة يحملون الكؤوس فى أيديهم .

وتظهر هذه الرسوم فوق أرضية من الزخارف النباتية . كما نلاحظ بين هذه الزخارف رسوماً على شكل أقنعة[١] وكان هذا معروفاً فى المدينة العراقية القديمة الحضر[٢] .

التصوير :

تكونت فى نهاية القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) أول وأقدم مدرسة للتصوير الإسلامى فى بلاد العراق ، ومن المرجح أن هذه المدرسة نشأت فى أول الأمر فى شمال العراق وتخصصت فى تزيين ترجمات لمؤلفات يونانية فى علم الطب والطبيعة والنبات والحيوان . وكان مركزها غالباً مدينة الموصل . ثم تكونت بعد ذلك فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) مدرسة تصوير أخرى فى بغداد ، كما تكونت أيضاً مدارس فى ديار بكر وماردين ، مراكز حكم بنى أرتق . ولو أن مراكز إنتاج هذه المدرسة العراقية كانت فى أملاك السلاجقة إلا أنها كانت عربية أكثر منها إيرانية . كما يظهر فى أسلوب بعض صورها التأثر بصور المخطوطات البيزنطية وأحسن مثل لذلك كتاب البيطرة الموجود نسخة منه فى القاهرة .

ويظهر فى أول الأمر الأسلوب السلجوقى الملكى فى بعض صور أقدم هذه المخطوطات ، وهو كتاب « الترياق » المؤرخ عام ٥٩٥ هـ — ١١٩٩ م والمحفوظ حالياً بالمتحف الأهلى بباريس . فنرى فى الصفحة الأولى للمخطوط رسماً يتوسط الصفحة ، لشخص جالس داخل منطقة تكونت من تنينين يحمل هلالا بين يديه [لوحة ملونة رقم ٣] ولقد ظهرت هذه الوحدة السلجوقية فى بوابة الطلسم ببغداد (ش ١٣٥) .

ويتضح تداخل الأسلوب العربى ، فى إحدى صور المخطوطة السابقة التى توضح قصة الطبيب « اندرماخوس » الذى يزور الفلاحين فى الحقل . حيث تظهر فى الرسوم الآدمية مسحة عربية أكثر منها إيرانية ، كما تغلب عليهم الواقعية فى حركاتهم الطبيعية المختلفة (ش ١٤٢) . والشىء الوحيد الذى لا يبدو عربياً فى هذه الصورة هو الهالة المستمدة من الفن البيزنطى .

---

(١) جروبه ما قبله ص ١٠١

(٢) كتابنا ما قبله ش ٢٥٢ .

(شكل ١٤٧)

مخطوط مقامات الحريرى ، من رسم يحيى الواسطى ، ٦٣٤ هـ — ١٢٣٧ م تصوير واقعى لعملية دفن الميت ، بغداد ، عصر أتابكة السلاجقة العراق ، حالياً بالمكتبة الأهلية بباريس .

(شكل ١٤٨)

مخطوط « رسائل إخوان الصفا » مؤرخ ٦٨٦ هـ — ١٢٨٧ م ، بغداد ، عصر أتابكة السلاجقة العراق ، مكتبة جامع سليمانية بأسطنبول .

ويظهر الطابع الملكى السلجوقى الإيرانى ، أيضًا فى الصفحة الأولى لنسخة من كتاب الأغانى « لأبى فرج الأصفهانى » وهى محفوظة حاليًا بمكتبة فى إسطنبول ويرجع تاريخها إلى عام (٦١٥ – ٦١٦ هـ) (١٢١٨ – ١٢١٩ م) . فيتصدر الصورة أمير أو حاكم جالس فى وضع المواجهة ممسكًا بقوس ورمح (ش ١٤٣) وهذه هى علامة السلطة عند الأتراك حيث يقتصر مظهر السلطة عند العرب على حمل السيف ، ويظهر الأمير مرتدياً زيًا من الحرير الأزرق المنقوش بالذهب ويحيط به حاشيته . ويظن بعض العلماء أن الشخص المرسوم ربما يمثل الحاكم بدر الدين لؤلؤ الأتابكى [١] .

ويلاحظ تداخل العناصر الفارسية والبيزنطية ، فى أسلوب مدرسة التصوير الإسلامية العربية ، فى صور المخطوطات العربية التى كتبت فى العراق فى القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) . ويظهر هذا المزج بشكل واضح فى مخطوطات مدرسة التصوير التى تكونت فى بغداد . ومن أقدم هذه المخطوطات كتاب عن خواص العقاقير « لديوسكريدس » صور فى بغداد فى عام (٦١٩ هـ – ١٢٢٢ ١٢٢٣ م) ، وتشمل صور المخطوطة موضوعات طبية كأطباء يحضرون الدواء أو جراحين يقومون بعملهم . ويتضح ذلك فى إحدى صور المخطوطة الموجودة بمتحف فرير بواشنطن . فنرى أطباء يقومون بقطع النباتات الموجودة فى الحقل ليخرجوا منها الدواء (ش ١٤٤) . ويلاحظ فى صور هذه المدرسة العربية بدء ظهور السحنة العربية فى وجوه الأشخاص كما أن قامتهم ازدادت طولا . كذلك نلاحظ أن المصور استمد الكثير من الأساليب الفارسية فى زخرفة الملابس ، كما استمر ظهور الهالة البيزنطية .

ومن المخطوطات التى يتضح فى صورها تأثر مدرسة العراق بالأساليب البيزنطية ، نسخة من كتاب العقاقير موجودة بمتحف إسطنبول ومؤرخة ٦٢٦ هـ – ١٢٢٩م ، وتنسب هذه المخطوطة إلى شمال العراق أو سوريا ، ونلاحظ فى رسوم صورها تأثر الفنان بكثير من العناصر البيزنطية بالرغم من ارتداء الأشخاص للملابس العربية ، ومما يزيد التأثير البيزنطى الخلفية الذهبية البراقة (ش ١٤٥) . ويتضح تأثر مدرسة

---

(١) ريتشارد إتنجهوزن ماقبله ص ٦٦٤

العراق بعناصر بيزنطية فى نسخة من كتاب البيطرة موجود حالياً بالقاهرة .

ويتم نضوج أسلوب مدرسة التصوير العربية التى نشأت فى العراق ،فى المخطوطات العربية التى صورت فى بغداد فى الربع الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى. وأشهر هذه المخطوطات، كتاب مقامات الحريرى الذى يحكى فيه على لسان الحارث بن همام مغامرات أبوزيد السروجى. ولقد صورت عدة نسخ من هذه المخطوطة ، ومن أشهر هذه النسخ مخطوطتان ، الأولى فى متحف لينتجراد ويرجع تاريخها إلى الفترة ٦٢٢ — ٦٣٢ هـ — (١٢٢٥ — ١٢٣٥ م) والثانية فى المكتبة الأهلية بباريس ، كتبت وصورت فى عام ٦٣٤ هـ — ١٢٣٧ م . وتصور هذه المخطوطات عرب القرن الثالث عشر الميلادى بوجوههم السامية فى حياتهم اليومية تصويراً واقعياً ، سواء كان ذلك فى الحقل أو المدينة أو الجامع .

إلا أن الأسلوب العربى يظهر أكثر وضوحاً فى النسخة الموجودة بباريس والمعروفة باسم مقامات شيفر (نسبه إلى صاحبها) (ش١٤٦) ، كما يندر فى صورها وجود الحالة البيزنطية . ولقد قام بتصوير هذه النسخة يحيى بن محمود الواسطى . كذلك تتميز صور هذه المخطوطة عن مخطوطات الموصل باهتمام المصور بدراسة الشخصيات المختلفة المرسومة وإظهار التعبيرات المنعكسة على وجوهها (ش١٤٧) . ولقد استفاد الواسطى من بعض الأساليب المسيحية الشرقية والتأثيرات الفارسية وخلق منها أسلوباً عربياً صحيحاً .

ومن المخطوطات العلمية التى كتبت للحكام الأتابكة كتاب « معرفة الحيل الميكانيكية » الذى كتبه الجزرى . ولقد كتبت أول نسخة منه بتكليف من نور الدين محمد الأرتقى سلطان ديار بكر فى عام ١١٨١ م . ولقد اختفت النسخة الأصلية ، إلا أنه وجد عدة نسخ من هذه المخطوطة يرجع أقدمها إلى عام ١٢٠٦ م ، وهى محفوظة حالياً بمتحف اسطنبول .

وتقل معرفتنا بأسلوب مدرسة تصوير المخطوطات فى العراق وسوريا بعد منتصف القرن الثالث عشر الميلادى . ويتضح من مخطوطة « رسائل إخوان الصفا » التى صورت فى بغداد فى عام ٦٨٦ هـ — ١٢٨٧ م والمحفوظة حالياً بمتحف جامع سليمانية باسطنبول ، أن مدرسة التصوير العربية فى العراق قد تمكنت من الاحتفاظ

بأسلوبها العربى حتى أواخر القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) بالرغم من بدء ظهور مدرسة التصوير المغولية فى شمال إيران . وتوضح إحدى الصور (ش ١٤٨) أسلوب مدرسة بغداد العربى الذى تميز بالواقعية والدقة فى تسجيل التفاصيل الدقيقة . ويمكن القول إن التغير الذى ظهر فى أسلوب هذه المخطوطة هو كثرة ظهور الألوان الذهبية والزرقاء على الأرضية البيضاء .

وتعد صور مدرسة بغداد آخر مراحل فن التصوير العربى الإسلامى الذى ظهر فى العصر السلجوقى ، حيث بدأ بعد ذلك ظهور أسلوب جديد فى التصوير الإسلامى مختلف كليا ، هو أسلوب المدرسة المغولية التى تكونت فى إيران . أما الأسلوب العربى الذى نتج عن امتزاج التأثيرات السابقة المختلفة والذى تميزت به مدرسة بغداد ، فنجد أنه استمر فى الظهور فقط فى بعض الجهات التى وقعت تحت الحكم الأيوبى والمملوكى .

نستنتج مما سبق أن فن الأتابكة يعد امتداداً للفن السلجوقى ، حيث نشأت فى مراكز حكمهم فى سوريا والعراق مراكز فنية ذات طابع خاص تجمع بين التقاليد السلجوقية وبين الأفكار الجديدة التى استمدها الفنان من العناصر المحلية ويظهر تأثير الفن السلجوقى واضحاً فى مدرسة التصوير التى نشأت بالموصل ، كذلك ظهر فى فن الأتابكة بعض التأثيرات المحلية البيزنطية والفارسية فى سوريا والعراق .